زانكۆی سەلاحەدین-هەولێر
Salahaddin University-Erbil

المستشرقون ومناهجهم في دراسة القرآن الكريم

مدرس المادة : م.م. سامان احمد رمضان
قسم : الدراسات الإسلامية
المرحلة الرابعة: المادة المختارة

الكورس الاول

2023 – 2022

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة 1
مفهوم الاستشراق: 3
مفهوم المنهج الاستشراقي : 3
نشأة الاستشراق وتطوره 5
مراحل الاستشراق: 6
إيجابيات الاستشراق. 9
أولا: إحياء التراث العربي الإسلامي. 9
ثانيا: الاهتمام بالمخطوطات. 10
ثالثا: الاهتمام بالتأليف المعجمي الموسوعي. 11
رابعا: التحقيق في علم الحديث 11
البعثات الدراسية التي جاءت تنهل العلم من ديار الإسلام. 11
سمات المنهج الإستشراقي : السمات الرئيسية الثلاثة 12
أهداف الاستشراق: 13
دوافع اهتمام المستشرقين بالدراسات القرآنية: 15
اهتمام المستشرقين بالتفسير : 17
ترجمة لبعض المستشرقين ممن عنوا بدراسة القرآن الكريم : 17
آثار الدراسات الاستشراقية: 19
شبهات المستشرقين حول التفسير بالمأثور 20
أولاً :شبهة امتناع بعض الصحابة والتابعين عن تفسير القرآن الكريم 20
ثانياً: شبهة التضاد في روايات التفسير والرد عليها 21
ثالثا: الطعن في رجال التفسير بالمأثور 21
مناهج المستشرقين المفسرين من خلال دراساتهم للقرآن الكريم 22
أولا : منهج التشكيك فيما هو قطعي 22
ثانيا: منهج الانتقاء في استعمال المصادر 24
ثالثا: منهج الأثر والتأثر – النزعة الأثرية 27
رابعا: المنهج الافتراضي، أو الافتراضية 28
خامسا: المنهج الإسقاطي 29
سادسا: التركيز على المرحلة التأسيسية للحقل القرآني 30
المصادر: 32

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على حبيب اله العالمين، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين.

أما بعد :

فقد اهتم المستشرقون بدراسة علوم القرآن والتفسير اهتماما بالغا على اعتبار كونها علوما خادمة للقرآن ومعينة على فهم مقاصده وأغراضه , ولاشك أن القرآنيات تشكل المجال الخصب الذي تواردت عليه أقلام كثير من المستشرقين سواء بالدراسة والبحث أم بالتحليل والنقد، وقد استأثرت الدراسات الاستشراقية بمزيد اهتمام الباحثين المسلمين في العقود الثلاثة الأخيرة , وانصب جانب كبير من هذا الاهتمام على مناقشة تلك الدراسات والرد عليها , وتفنيد مضامينها ذات الابعاد التشكيكية في معطيات الإسلام وتعاليمه السامية.

فالمنهج الاستشراقي العام في دراسة تاريخ القرآن وعلومه يكاد يكون فيها ايجابيات وسلبيات غير علميّة، ومفصولاً عن سياق الموضوعية والحياد المطلوبين في كل بحث، وبالتالي في كل منهج علمي. لقد اهتم المستشرقون بدراسة علوم القرآن والتفسير اهتماماً بالغاً على اعتبار كونها علوماً خادمة للقرآن ومعينة على فهم مقاصده وأغراضه، ولاشك أن القرآنيات تشكل المجال الخصب الذي تواردت عليه أقلام كثير من المستشرقين سواء بالدراسة والبحث أو بالتحليل والنقد. ولقد بات من المألوف أن كل ما تعلق بالقرآن في دراسات القوم لا يمكن الاعتداد به ألبتة؛ لأنه لا مَحَالة محطم للمُسَلمات التي يجزم بها المسلمون، ومشكّك في البدهيات التي يؤمنون بها، وأصبح في حكم اليقين أن عالم المشرقيات عندما يتأهب لدراسة القرآن الكريم يضع نصب عينيه دعوى بشرية القرآن؛ محتملاً أن يكون مصدره من كل جهة إلا من السماء، وبالتالي، وبناء على هذا الاعتقاد الذي يصبح عند الرجل مُسَلَّمة بديهية، تأتي كل أبحاثه وجميع دراساته قد استوت على أساس غير صحيح، وانحرفت عن المنهج الصائب الذي يفرض نوعاً من التعاطف، أو على الأقل نوعاً من الاحترام النسبي للمصدر الغَيْبِي الذي ينبني عليه الوحي القرآني. إلا أن هذا لا يمنع من الاطلاع على ما يقال في حق القرآن الكريم، وبالتالي تبيُّن مناهج وآليات البحث لدى القوم.

ولا نُخفي أنه بعد الاجتهاد في الأمر والنظر ملياً في اتجاهات الاستشراق وتحولاته، تبين أن رجلاً لُقّب بشيخ المستشرقين في الدراسات القرآنية، كان يمثل فعلاً حلقة وصل بين المنهج الاستشراقي القديم والمنهج الاستشراقي المعاصر، ويمثل فكر الرجل الذي هو تيودورنولدكه (ت 1931م) Th Noldeke في هذا المجال كتابه الشهير ((تاريخ القرآن)) Geschichte des Qorans [1] الذي يعد دستور المستشرقين في معرفة تاريخ القرآن، حتى أضحى الكتاب أبرز المصادر التي لا يستغني عنها الباحثون الغربيون في ميدان القرآنيات، فهو عرض تاريخي مفصل لكل المسائل والموضوعات التي تتصل بتاريخ القرآن الكريم وعلومه ومختلف مباحثه وقضاياه، منذ نزول الوحي إلى عصر المؤلف.

ولا يمكن أن ننسى بهذا الصدد دور مدرسة نولدكه الألمانية في حقل القرآنيات، وهي مدرسة اشتهرت وَبزَّت غيرها من المدارس الأوروبية؛ حيث برز فيها ثلاثة رواد رابعهم شيخهم نولدكه الذي

---

(1) الكتاب يقع في ثلاثة أجزاء بقي في أصله الألماني، ولم يترجم إلى أية لغة أخرى (الباحث). بل ترجم الكتاب إلى اللغة العربية كاملاً، وصدر عن مؤسسة كونراد أدناور الألمانية بالتعاون مع معهد غوته في بيروت (اللجنة العلمية).

عهد إلى هؤلاء التلامذة شفالي Schwally، وأوتو برتزل O.Pretzel، وبرجشتراسر Bergstrasser مهمة تنقيح الكتاب والتعليق عليه، وهو ما حصل فعلاً عندما تم إخراج جزأين منه عام 1919م، في حين تم إصدار الجزء الثالث عام 1926م [1].

إن تناول المستشرقين لحقل القرآنيات شديد التعقيد والتداخل لا يمكن حصره وتصنيفه بيسر؛ لاختلاف مناهج المستشرقين وخلفياتهم الفكرية والثقافية التي ينطلقون منها في دراساتهم، وترجع صعوبة التصنيف أيضاً إلى تنوع مداخل وطرق تناول الموضوعات المرتبطة بالقرآن حسب تطبيقهم لها في الزمان والمكان.

مهمتنا هنا التقتضي والكشف عن مناهج هؤلاء المستشرقين في دراسة القرآن وعلومه والتي نؤكد مرة أخرى أن المستشرق مهما حاول أن يكون على درجة من الحيادية والتزام الموضوعية في أبحاثه القرآنية، فإنه لن يفلح في ذلك؛ لأن دراسات المستشرقين في مجال القرآنيات ليست كغيرها، لا لشيء إلا لكونها تنصبُّ على موضوع يرتبط بمسألة الوحي المحمدي الذي لا يؤمن به الباحث الغربي، ولا يمكن أن يتعاطف معه مبدئياً، وبالتالي لا بد أن تؤثر فيه قناعاته الدينية وخلفياته الفكرية في مجال البحث، كما أن المسائل القرآنية ترتبط بعالم الغيب الذي ليس بمقدور الحس أو العقل أن يدلي بكلمة فيها إلا بمقدار، إذ إن رؤية المستشرق العقلية والمادية لابد أن تمارس نوعا من التكسير والتجريح في حق القرآن الكريم وعلومه، فترتطم بذلك بالبدهيات والمسَلَّمات.

وننتقل الآن إلى استعراض بعض أبرز المناهج الاستشراقية في بحث علوم القرآن وقضاياه.

---

(1) Theodor Noldeke: Geschichte des corans (GdQ): Leipzig 1919 (Tome1-2) 1926 (t-3)

مفهوم الاستشراق:

لو أرجعنا هذه الكلمة إلى أصلها لوجدناها مأخوذة من كلمة شرق ثم أضيف إليها ثلاثة حروف هي الألف والسين والتاء، ومعناها طلب الشرق، وليس طلب الشرق سوى طلب علوم الشرق وآدابه ولغاته وأديانه. ولعل هذا التعريف اللغوي بالنسبة للغة العربية. أما في اللغات الأوروبية فثمة تعريف آخر يدل على أن المقصود بالشرق ليس الشرق الجغرافي وإنما الشرق المقترن معنى الشروق والضياء والنور والهداية. وهذا ما تناوله سيد محمد الشاهد في تعريفه للاستشراق مستعيناً بالمعاجم الغربية حيث يرى أن كلمة استشراق لا ترتبط فقط بالمشرق الجغرافي وإنما تعني أن الشرق هو مشرق الشمس ولهذا دلالة معنوية بمعنى الشروق والضياء والنور والهداية بعكس الغروب بمعنى الأفول والانتهاء. وقد رجع أحد الباحثين المسلمين وهو السيد محمد الشاهد إلى المعاجم اللغوية الأوروبية (الألمانية والفرنسية والإنجليزية) ليبحث في كلمة شرق ORIENT فوجد أنه يشار إلى منطقة الشرق المقصودة بالدراسات الشرقية بكلمة " تتميز بطابع معنوي وهو Morgenland وتعني بلاد الصباح، ومعروف أن الصباح تشرق فيه الشمس، وتدل هذه الكلمة على تحول من المدلول الجغرافي الفلكي إلى التركيز على معنى الصباح الذي يتضمن معنى النور واليقظة، وفي مقابل ذلك نستخدم في اللغة كلمة Abendland وتعني بلاد المساء لتدل على الظلام والراحة." (1)

مفهوم المنهج الاستشراقي :

المنهج لغة : مصدر من نَهَجَ يَنْهَجُ منْهَجاً ومنْهاجاً . يقول ابن منظور : نَهْج طريقٌ نَهْجٌ بَيّنٌ واضحٌ , وهو النَّهْجُ ...والجمعُ نهجاتٌ ونُهُجٌ ونُهُوجٌ .. ومَنْهَجُ الطريق وَضَحَهُ . والمنهاج : كالمنهج . وفي التنزيل : (لكل جعلنا شرعة ومنْهاجا) .واسْتَنْهَجَ الطريقُ : صار نَهْجاً . وفي حديث العباس : لم يمت رسول الله (ﷺ)حتى تركك على طريق ناهجة , أي واضحةٌ بَيّنة .

ويقول الفيروز آبادي النَهَجُ بالتحريك : البُهُرُ وتتابعُ النفس والفعل : كفَرِحَ وضَرَبَ .

اصطلاحا : الطريق الذي يسلكه المعلم والمتعلم للوصول إلى الأهداف المنشودة .

الاستشراق لغة :

مشتق من الشرق , وبالأخص الشرق العربي الإسلامي، والشرق والمشرق بكسر الراء وهو الأكثر، وبالفتح وهو القياس لكنه قليل الإستعمال _ اسم الموضع أي جهة شروق الشمس، والسين في كلمة الإستشراق يفيد الطلب . أي طلب دراسة ما في الشرق .فكلمة استشراق إذاً مشتقة من كلمة (شرق) وهي تعني مشرق الشمس.

اشْتُقَّ هذا المُصْطَلَحُ مِنْ كَلِمَةِ (شَرْق):وَهِيَ جِهَةِ شُرُوقِ الشّمْسِ ، والتَّشْرِيقُ: الأَخْذُ في نَاحِيَةِ المَشْرِقِ ؛ يُقَالُ شَتّانَ بَيْن مُشَرِّقٍ ومُغرِّبٍ، وشَرَّقوا: ذَهَبُوا إلى الشَّرْق أَو أَتَوا الشَّرْقَ.1

وَتُشِيرُ بَعْضُ المَصَادِرِ اللُّغَوية الحَدِيثَةُ إلى أن كَلِمَة (اسْتَشْرَقَ) :تعني طَلَبَ عُلُومَ الشرق ولُغَاتهم (مُوَلَّدَةٌ عَصْرِيّةٌ): يُقَالُ لمن يُعْنَى بذلك من عُلَمَاء الفِرِنْجَة2 .

---

1 –ابن منظور– محمد بن مكرم – **لسان العرب**– بيروت – دار صادر– ط1– 1414هـ – ج10– ص 173

2 – رضا– أحمد– **معجم متن اللغة**– بيروت – مكتبة الحياة – ط 1958م – ج3– ص310

الإستشراق : اصطلاحا : هو علم الشرق، أو علم العالم الشرقي، فهو علم يدرس لغات الشرق، وتراثه وحضارته ومجتمعاته وماضيه وحاضره .

استعملت كلمة الاستشراق لأول مرة في معجم الأكاديمية الفرنسية سنة ١٨٣٨م بعد أن شاع استعمالها، وأصبحت اللفظة دالة على التخصص في الثقافات الشرقية.

ويعرفه القاموس الفرنسي بأنه : مجموعة المعارف التي تتعلق بالشعوب الشرقية ولغاتهم وتاريخهم وحضارتهم .

او هو : دراسة الاسلام والمسلمين من حيث كتبهم وثقافتهم وتقاليدهم وكل ما يتعلق بهم لغرض التشكيك في الدين والقضاء عليه ومسخ هوية المسلمين والسيطرة عليهم ، وذلك عن طريق جيش من الباحثين المتخصصين في جميع المجالات .

أما الدراسات الإستشراقية للقرآن فهي في الغالب تتناول مسائل لاتمت إلى الحقائق بصلة ، وبذلك فهي تفقد مسوغ إطلاق لفظ العلم عليها ، وقد نسب هذا الرأي لإدوارد سعيد لأن الإستشراق في رأيه يجهل موضوعه، ويصور لنفسه حقائق غير موجودة.

لقد قدّم أحمد عبد الحميد غراب مجموعة من التعريفات للاستشراق استناداً إلى العديد من المراجع في هذا المجال ثم اختار أن يجمع بينها في تعريف واحد وهذا التعريف هو: " هو دراسات "أكاديمية " يقوم بها غربيون كافرون - من أهل الكتاب بوجه خاص- للإسلام والمسلمين، من شتى الجوانب: عقيدة، وشريعة، وثقافة، وحضارة، وتاريخاً، ونظماً، وثروات وإمكانات .. .بهدف تشويه الإسلام ومحاولة تشكيك المسلمين فيه، وتضليلهم عنه، وفرض التبعية للغرب عليهم، ومحاولة تبرير هذه التبعية بدراسات ونظريات تدعي العلمية والموضوعية، وتزعم التفوق العنصري والثقافي للغرب المسيحي على الشرق الإسلامي.".([1])

ويمكننا أن نلحق بالاستشراق ما يكتبه النصارى العرب من أقباط ومارونيين وغيرهم ممن ينظر إلى الإسلام من خلال المنظار الغربي. ولا بد أن نلحق بالاستشراق ما ينشره الباحثون المسلمون الذين تتلمذوا على أيدي المستشرقين وتبنوا كثيراً من أفكار المستشرقين حتى إن بعض هؤلاء التلاميذ تفوق على أساتذته في الأساليب والمناهج الاستشراقية. ويدل على ذلك احتفال دور النشر الاستشراقية بإنتاج هؤلاء ونشره باللغات الأوروبية على أنها بحوث علمية رصينة أو ما يترجمونه من كتابات بعض العرب والمسلمين إلى اللغات الأوروبية.

من أمثال ذلك ما نشر لمحمد عبد الحي شعبان وعزيز العظمة، ونوال السعداوي، وفاطمة مرنيسي وفضل الرحمن، وغيرهم كثير حيث قامت دور النشر الجامعية لكبريات الجامعات الغربية وبخاصة الأمريكية بنشر إنتاج هؤلاء وترويجه.

الاستشراق: هو مصطلح أو مفهوم عام يطلق عادة على اتجاه فكري يعنى بدراسة الحياة الحضارية للأمم الشرقية بصفة عامة, ودراسة حضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة .

وأما المستشرق : فهو " الباحث في فرع من فروع المعرفة التي تتعلق من قريب أو من بعيد بهذا الشرق , ويسمى مستشرقا . "

---

1. الاستشراق (ص: 6)

ويقول مالك بن نبي : " إننا نعني بالمستشرقين الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية . ثم علينا أن نصنف أسماءهم في شبه ما يسمى بالطبقات على صنفين :

1-من حيث الزمن : طبقة القدماء مثل جربر دورياك , والقديس توماس الإكويني , وطبقة المحدثين مثل كاره دوقو وجولد تسهير .

2-من حيث الاتجاه العام نحو الإسلام والمسلمين لكتاباتهم : فهناك طبقة المادحين للحضارة الإسلامية , وطبقة المنتقدين لها المشوهين لسمعتها .

اذا فالمستشرقون: هم الذين يقومون بالدراسات الشرقية ، فكل من يقوم بتدريس أحوال الشرق أوالكتابة عنه أو بحثه ، ويسري ذلك سواء كان المرء مختصا بعلم الإنسان(الانترويولوجي)أو بعلم الإجتماع أو مؤرخا أو فقيه لغة(الفسيولوجيا)في جوانبه المحددة والعامة على حدٍ سواء، هو مستشرق وما يقوم بفعله استشراق، كما ويعرفهم مالك بن نبي بأنهم (الكتاب الغربيون الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية) .

فالإستشراق إذا هو : دراسات غير الشرقيين لحضارات الشرق وأديانه ولغاته وتاريخه وعلومه واتجاهاته النفسية وأحواله الإجتماعية، وبخاصة حضارة الإسلام.

نشأة الاستشراق وتطوره

اختلف الباحثون في نشأة الاستشراق في تحديد سنة معنية أو فترة معينة لنشأة الاستشراق فيرى البعض أن الاستشراق ظهر مع ظهور الإسلام. ولعل اهتمام النصارى بهذا الدين يعود إلى هجرة المسلمين إلى الحبشة وقد كان ملكها النجاشي نصرانياً وما دار من حديث حول هذا الدين بين البطارقة في مجلسه، وكيف أدرك هذا الملك حقيقة هذا الدين فاعتنقه. وكانت الفرصة الثانية لتعرف النصارى على هذا الدين حينما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم رسله إلى الملوك والأمراء خارج الجزيرة العربية وكان هرقل عظيم الروم أحد هؤلاء الملوك وكان أبو سفيان في تجارة له إلى الشام فاستدعاه هرقل وسأله عن الإسلام وأظهر هرقل اقتناعه بصدق هذا الدين وحقيقته، و هناك رأي بأن غزوة مؤتة التي كانت أول احتكاك عسكري تعد من البدايات للاستشراق ويرى آخرون أن أول اهتمام بالإسلام والرد عليه بدأ مع يوحنا الدمشقي وكتابه الذي حاول فيه أن يوضح للنصارى كيف يجادلون المسلمين. ويرى آخرون أن الحروب الصليبية هي بداية الاحتكاك الفعلي بين المسلمين والنصارى الأمر الذي دفع النصارى إلى محاولة التعرف على المسلمين. وبخاصة أنه بعد هزيمة لويس التاسع وأسره في المنصورة وما تمخض عنه تفكيره من صعوبة هزيمة المسلمين عسكرياً فلا بد من التخطيط الفكري بجانب التخطيط الحربي والسياسي مما تمخض عنه بداية الدراسات الاستشراقية.

فإننا نعود إلى ما كتبه الغربيون أولاً عن هذا المجال المعرفي الذي أنشئت المعاهد والكليات والأقسام العلمية لدراسته. ويرى بعض الباحثين الغربيين أن مصطلح الاستشراق ظهر في الغرب منذ قرنين من الزمان على تفاوت بسيط بالنسبة للمعاجم الأوروبية المختلفة، لكن الأمر المتيقن أن البحث في لغات الشرق وأديانه وبخاصة الإسلام قد ظهر قبل ذلك بكثير. ولعل كلمة مستشرق قد ظهرت قبل مصطلح استشراق، فهذا آربري Arberry في بحث له في هذا الموضوع يقول:" والمدلول الأصلي لاصطلاح (مستشرق) كان في سنة 1638 (أحد أعضاء الكنيسة الشرقية أو

اليونانية) وفي سنة 1691 وصف آنتوني وود Anthony Wood صمويل كلارك Samuel Clarke بأنه (استشراقي نابه) يعنى ذلك أنه عرف بعض اللغات الشرقية.

اختلفت الفترة الزمنية التي ظهر فيه الاستشراق الى عدة آراء وسيتم عرضها مناقشتها فيما يلي:

1- ذهب محمد البهي:[1] "إلى أن الاستشراق بدأ في بعض البلدان الأوروبية في القرن الثالث عشر الميلادي. على الرغم من اعترافه بإمكانية وجود محاولات فردية قبل ذلك ثم يؤكد أن المؤرخين يكادون يتفقون على أن هذا العلم قد انتشر بصورة جدية بعد الإصلاح الديني الذي قام به مارتن لوثر وغيره في أوروبا".

٢ - ويرجح أحمد الاسكندراني وزملاؤه[2]: أن "بداية الاستشراق ترجع إلى القرن العاشر الميلادي حينما أدرك الغرب تلك المعجزة الحضارية التي سادها العرب. فاندفعوا إليها ليتعلموها ويتسلحوا بما ويستفيدوا منها فأخذوا يدرسون لغتها وآدابها ويترجمون كتبها وينقلون علومها إلى بلادهم وكان أول من بدأ بذلك رجال الدين ثم تلاهم غيرهم من أبناء جلدتهم [3].

3 - ويرى إبراهيم عبد المجيد اللبان: "أن حركة الاستشراق بدأت في القرن العاشر الميلادي حيث ظهر الاهتمام بالعلوم العربية في هذا القرن بالذات ثم ازدهرت حركته في القرن الثاني عشر حين انتشرت تلك المراكز العلمية في العالم الإسلامي وبدأ الأوروبيون يتوافدون إليها ليتعلموا فيها"[4].

مراحل الاستشراق:

مر الاستشراق بعدة مراحل في طور نشأته يمكن توزيعها على النحو التالي :

أولا : المرحلة المبكرة

وهي المرحلة التي نقل فيها الكنسيون فيها علوم الكنيسة وفلسفة اليونان من حاضرة العرب (بغداد) وغيرها من البلدان العربية الى روما حيث كانت الكنيسة في احتضار فكري .

هذه المرحلة يسمى بالمرحلة الأولى التي تمتد من بداية الإستشراق حتى بداية عصر النهضة الأوربية التي تطور الإستشراق فيها من كتابات فردية غير منتظمة، حتى أصبح بحثا منتظما ورسميا، بمعنى أنه يتم في مؤسسات رسمية وتحت إشرافها وهي الجامعات .أما من حيث محتواه وخصائصه في هذه المرحلة فقد اتسم في مجمله بالعداء للإسلام ، وساده اتجاه لاهوتي خرافي متطرف في جدله وعدائه للإسلام ، وكان الإستشراق في هذه المرحلة مظهرا للصراع الديني الأيديولوجي بين العالمين الأوربي المسيحي والشرق الإسلامي.

فبتوسع الدولة الاسلامية والازدهار الحضاري لها واهتمامها بتدوين العلوم المختلفة من علوم القرآن الكريم والسنة المطهرة , والتاريخ , واللغة , الفلك , والفيزياء , والكيمياء , والحساب, وغيرها

---

[1] محمد البهي الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص٥٣٢، دار الفكر بيروت بدون تاريخ .

[2] أحمد الاسكندراني وآخرون المفصل في الأدب العربي 408/٢.

[3] المعجزة الحضارية: الوصول إلى مراتب غير عادية بطريقة تكاد تكون فجائية. انظر: صبحي سليمان، شمس العرب تسطع على الغرب، ص ٢٩. وكالة الصحافة العربية، ٢٠٢٠م.

[4] إبراهيم عبد المجيد اللبان المستشرقون والإسلام، ص١١، مجمع البحوث الإسلامية أبريل، 1970

من العلوم المختلفة , اهتم المسلمون أيضا بترجمة الكتب اليونانية وتناولوها بالنقد والمناقشة . واستفاد الفلاسفة المسلمين من الفلسفة اليونانية ومزجوها بالفكر الاسلامي , مع أن الفكر الاسلامي لم يكن بحاجة لهذه الفلسفة . فكان الفضل للإسلام على الكنيسة في روما في ترجمة آثارها اليونانية والرومانية وخاصة في العصر الذي أطبق الجهل فيه على شعوب أوربا في ما يسمى ب (العصور المظلمة) .

فبدأت رحلات كتاب الكنيسة على بغداد لينهلوا من العلوم الاسلامية ويصلوا الى المؤلفات اليونانية ومناقشات العرب المسلمين عليها ليترجموها الى لغة الكنيسة آنذاك .

وفي موجتهم الاستشراقية الأولى هذه , تعلموا اللغة العربية , ونقلوا علومها الى شعوبهم , ولكنهم نقلوا أفكارا مشوهة عن العرب والمسلمين ودينهم ونبيهم وشوهوا صورة الإسلام فيهم , وأنه مستقى من أصول مسيحية ويهودية . ولعل تفصيل هذه الصور قد دونها القديس يوحنا الدمشقي الذي عاش في العصر الأموي في دمشق , وبعضها في رسالة نشرها مؤلف يدعي أنه كان مسلما وأرتد عن الإسلام وآمن بالمسيحية اسمه عبد المسيح بن إسحاق وقد أعاد المبشرين المسيحيين نشرها لتخدم اغراضهم وتساعدهم في التأجيج للحروب الصليبية ضد المسلمين بهدف :

1- تهديم معالم الإسلام , وإنهاء دوره الذي طغى على دور الكنيسة آنذاك .

2- إيجاد مستعمرات في الأراضي العربية ينقلون إليها مراكز حكمهم بعد أن اشتد الصراع بين الحكام ورجال الكنيسة .

وجدير بالذكر ان الدراسات الاستشراقية للعرب وشبه الجزيرة العربية قد سبقت الحروب الصليبية وكانت تعود الى نهاية القرن الأول للميلاد .

ثانيا : مرحلة التبشير

وتعتبر هذه المرحلة هي حركة الاستشراق بالمعنى العلمي الذي اصطلح عليه , بدأت في القرن السابع عشر , حيث نشطت الكنيسة في إرسال أعضائها الى مناطق عديدة في آسيا وافريقيا وبخاصة الى البلدان العربية فيها . وكان عملهم ناجحا في المجال الثقافي والاجتماعي والسياسي أكثر من المجال الديني , وبالتالي فقد أفلس رجال الكنيسة الغربية الى تحويل المسلمين الى مسيحيين مما جعلهم ينقمون عليهم وينقلون تراثهم الى أوربا بصورة مشوهة لا تعكس الحقيقة وجعلوا الاوربيين ينظرون الى المسلمين العرب بحقد واز، وتسمى هذه المرحلة بالمرحلة الثانية: وتمتد من عصر النهضة حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي . وفي هذه المرحلة أثرت في مفهوم الإستشراق عدة عوامل أهمها : النزعة الإنسانية التي سادت في عصر النهضة وحركة التنوير(النزعة العقلية) فأدت هاتان النزعتان إلى دراسات للشرق الإسلامي أكثر موضوعية.

ويمكن تلخيص دور أولئك المبشرين من المستشرقين في الأمور التالية :

1- إن دراساتهم قد كونت صورة مشوهة عن الإسلام في أوربا وكانت تستمد موادها الأولية من مصادر سبقهم الى كتابتها المستشرقون الأوائل الذين ذكروا دورهم أثناء وبعد الحروب الصليبية .

2- إن تلك الدراسات قد كونت شكلا منهجيا وإطارا فكريا في أوربا عدها جميعهم مسلمات وحقائق على الرغم مما توصل إليه كثيرون من نقائض لها في بحوثهم .

3 - تعتيم أجواء الاستشراق بحقد دفين على الأمة الإسلامية على الرغم مما تدعيه تلك الدوائر من الموضوعية والعلمية .

وقد أساءوا الى مقدسات التراث الإسلامي وعظمائه , فحين يتكلمون عن نساء النبيﷺ يصفونه بانه زير نساء وداعية للإباحية . متناسين أن تعدد الزوجات كان موجودا في القرن المسيحي الأول ومنعته الكنيسة في القرن الثاني . ولم يقفوا عند هذا الحد بل تعدى هجومهم الى القرآن الكريم فراحوا يصفونه بأنه مستقى من أصول مسيحية ويهودية تلقاها النبي ﷺ من أحبار اليهود والرهبان . وإذا جاءوا الى تفسير آياته يترجمون الكلمات التي تحتمل أكثر من معنى في لغاتهم الى المعنى الذي يتفق وأهدافهم التبشيرية دون الرجوع الى تفسير المفسرين المسلمين للاستفادة من المعاني التي ذكروها . كما أساءوا الى أمتنا العربية ووصفوها بالعجز , وأن سبب ظهور البحث العلمي والفلسفة عند العرب أبان العصور الوسيطة يعود الى الأجانب الذين دخلوا في الإسلام . وهذا الرأي ملموس في كل المدارس الاستشراقية . فهم يتغنون بفضل الرومان والكنيسة الغربية والفرس على الفكر العربي ويعزون اليهم تقدم.

ثالثا : مرحلة الاستعمار

وهنا لابد من التقرير بأن المستشرقين جميعا قديمهم وحديثهم خدموا بشكل أو بآخر أغراض الاستعمار . فعندما بدأت أوربا بالانتعاش الاقتصادي , وصارت لها الاساطيل الحربية القوية , بدأ ملوكها بأرسال علمائها الى الأقطار العربية لدراسة أوضاعها وتراثها , وقد صاحب ذلك حملة قوية لتعلم العربية , حتى نادى رجال الكنيسة أنفسهم بفتح مراكز لتعليم العربية في جامعات أوربا المختلفة , فقد كانت الكنيسة قد تطوعت لخدمة الأغراض الاستعمارية بإرسال بعثاتها الدبلوماسية التي بدأت تؤدي دورها الاستشراقي أيضا , فكثير من أعضائها وقناصلها كانوا من العاملين في حقل الاستشراق وكتبوا عن العرب الشيء الكثير .

وهذه المرحلة يسمى بالمرحلة الثالثة :وتمتد من القرن التاسع عشر إلى وقتنا الحالي . فشهدت هذه المرحلة للإستشراق عدة تطورات في مفهومه وحركته ، وفي هذه المرحلة عاد طابع العداء ليغلب على الغرب للشرق ، وزبدة القول: إن الإستشراق هو المنجم والمصنع الفكري الذي يمد المنصرين والمهودين والمستعمرين ، بأدوات الغزو الفكري بالمواد التي يسوقونها في العالم الإسلامي ، لتحطيم عقيدته ، وتخريب عالم أفكاره والقضاء على شخصيته الحضارية والتاريخية .

إيجابيات الاستشراق.

تعددت مواقف الكتاب والباحثين من جهود المستشرقين، فقسمها بعظهم إلى موقفين رئيسين، وهما موقف المعجبين بجهود المستشرقين وإنجازاتهم، موقف الرافضين المهاجمين لكل ما يمت إلى الاستشراق بصله. وذهب غيرهم من الباحثين الى تقسيم تلك الموافق إلى ثلاثة أقسام رئيسة وهي:

1 - موقف القبول المطلق، 2 - موقف الرفض المطلق، 3 - موقف المواجهة الإيجابية،

وذلك في محاولة الابراز الموقف المعتدل من جهود المستشرقين ودراساتهم[1] ومن أشهر مواقف الاعجاب والقبول ما ذهب اليه الأستاذ نجيب العقيقي. والذي ألف كتابا مستقلا يترجم فيه للمستشرقين، حيث بين في سبب تأليفه أنه جاء وفاء لبعض حقهم، فقد شعلوا بنا عشرة قرون في جميع أصقاع الأرض وبسائر اللغات، وتناولوا جميع ما للشرق من دين وحضارة وثقافة بألوان المصنفات، فلا أقل أن نشكر فضلهم على العربية بالعربية، ونذيعه في كتاب، وإن لم يكن في مثل دقة كتبهم وعمقها وشمولها وجدتها، وهو: المستشرقون. ويؤكد أهمية دراسات المستشرقين بقوله: وازنا بين عنايتهم بتراثنا واكتشافه وصونه وتحقيقه، وبين ما قمنا نحن في سبيلة فرأيناها تكون متساوية، ووازنا كذلك بين ترجمة أحدهم وآثاره، وبين ترجمة أحد أعلامنا وآثاره فوجودناه يضاهيه خلقا علميا وعدد كتب، وأن لا غنى لنا عن معظمها في علومنا وأدابنا، ولا سبيل إلى جحد فضلها في فتح عيون الشرقيين والغربيين على ما في تراثنا من ثراء ثم نهضتنا التي كانوا من دعائمها.

أولا: إحياء التراث العربي الإسلامي.

مظاهر إحياء التراث العربي الإسلامي.

يمثل جهود المستشرقون في إحياء التراث الإسلامي، وخدمة العلوم الإسلامية، في وقت غفل فيه المسلمون عن تراثهم ونسوا واجبهم نحوه، مع ما قد يشوب هذه الجهود من دخن أو أهداف غير مشروعة أو جهل وعدم فهم أحيانا. كما يتمثل في طبقة المستشرقين الذين بذلوا جهودا كبيرة في مجال الدراسات العربية الإسلامية مع بعدهم من تأثير العوامل الدينية والسياسة.

يشير الشيخ أبو الحسن الندوي إلى جهود المستشرقون في إحياء التراث الإسلامي، فيقول: (أعترف بكل وضوح وصراحة أن عدد من المستشرقين كرسوا حياتهم وطاقتهم على دراسة العلوم الإسلامية وتبنوا موضوع الشرقيات والإسلاميات بدون تأثير عوامل سياسة أو اقتصادية أو دينية، بل مجرد ذوقهم وشغفهم بالعلم وبذلوا فيه جهودا ضخمة ويكون من المكابرة والتقصير أن لا ينطلق اللسان بمدحها والثناء عليها وبفضل جهودهم برز كثير من نوادر العلم والمعارف التي لم تر ضوء الشمس منذ قرون إلى النشر والإذاعة. ثانيا: الشواهد على جهود المستشرقين في إحياء التراث الإسلامي:

- كتاب (توماس أرنولد) المعنون بـ (الدعوة الى الإسلام) الذي أنصف المسلمين فقد برهن على سماحة المسلمين في جميع العصور مع مخالفيهم في الدين، على عكس مخالفيهم معهم، هذا الكتاب الذي يعتبر من أدق وأوثق المراجع في تاريخ التسامح الديني في الإسلام، يطعن فيه

[1] السامرائي ، الاستشراق بين الموضوعية والانفعالية، ص 19.

المستشرقون المتعصبون وخاصة المبشرين منهم، بأن مؤلفة كان مندفعاً بعاطفة قوية من الحب والعطف على المسلمين مع أنه لم يذكر فيه حادثة إلا وأرجعها إلى مصدرها.

❖ ومن الشواهد على جهود المستشرقون في إحياء التراث الإسلامي:

من المستشرقين من يؤدي بهم البحث الخالص لوجه الحق إلى اعتناق الإسلام والدفاع عنه في أوساط أقوامهم الغربيين، كما فعل المستشرق الفرنسي (دينيه) الذي عاش في الجزائر فأعجب بالإسلام وأعلن إسلامه، وتسمى باسم (ناصر الدين دينيه) وألف مع عالم جزائري كتاباً عن الرسول صلى الله عليه وسلم وله كتاب (أشعة خاصة بنور الإسلام) بين فيه تحامل قومه على الإسلام ورسوله[1].

ثانيا: الاهتمام بالمخطوطات.

مظاهر الاهتمام بالمخطوطات.

كان الناس في العالم الإسلامي يبيعون مخطوطات جهابذة علماء الإسلام في الأسواق بثمن رخيص، ومنذ ذلك الوقت قام المستشرقون يجمع هذه المخطوطات وشرائها من أيدي المسلمين، وذلك إدراكاً منهم لأهميتها هذه وبما فيها من العلوم القيمية. مكتبة فقد وجدت عدد من المخطوطات النفيسة في المكتبات الأوربية وهي لم توجد عند المسلمين، ففي باريس الوطنية وحدها يوجد أكثر من سبعة الاف مخطوط عربي، ونوادر من الآثار الإسلامية من نقود وأختام وخرائط، وأسهم المسيحيون اللبنانيون في نقل بعض المخطوطات العربية إلى فرنسا.

من أهم هذه الشواهد: ما فعله المستشرق الفرنسي دي سلان ماك غوين، الذي وضع فهرس المخطوطات الشرقية، وترجمة المقدمة ابن خلدون، تناول فيها الرسول العربي في إطاره التاريخي، والشريعة الإسلامية السمحاء، فوجده متقدماً على أقرانه من الرسل، ووجد الإسلام يتميز عن باقي الشرائع، يقول: إن العرب أمة تمتاز بكثير من الصفات، ولها دين جامع شامل، لا يعيبه إلا من يجهله، وصاحب دينهم محمد الفقير، وقبل أن نعرف الدين يجب أن تعرف من أتى به، وحقاً أقول ليس كمحمد في سلسلة الأنبياء، ولا كشريعته في سلسلة الشرائع، لا تبالغ إذا قلنا إن محمد من أتى بشريعة، ولقاء وقف في وجه الطغاة من قريش، حتى أتم ما أراد، وبلغ منتهى الطريق الذي سلكه وعمل له، وإذا به وبشريعته يتمتعان بذكر عاطر وحديث حسن، وليس باستطاعتنا أن نثير عليمها غبار الانتفاص.

ومع زيادة الاهتمام بالشرق الإسلامي بدأ الاهتمام بتجميع كتابات ونتاج الحضارة العربية الإسلامية. وقد قام بتجميع وانتقاء هذه الكتابات مستشرقون وباحثون وحتى إداريون، فبدأت تتكون تلك المجموعة بدءاً من ذلك. وقد كانت مجموعة المتحف البريطاني عند تأسيسه في عام ١٧٥٢ ميلادية تضم حوالي ١٢٠ مخطوطة عربية، ونقلت ٢١ مخطوطة أخرى من مصر في عام ١٨٠٢ في أعقاب معركة النيل. لكن أهم مجموعة تم اقتناؤها كانت المخطوطات التي جمعها كلوديويس جيمس ريتش[2].

---

(1) الاستشراق مالهم وما عليهم، مصطفى السباعي، ص 32 – 33.

(2) المستشرقون ، نجيب العفيفي ، ج2–ص– 50.

ثالثا: الاهتمام بالتأليف المعجمي الموسوعي.

تناولت حركة الاستشراق بمختلف أنواعها، وكان للمستشرقين اهتمام خاص بالقرآن الكريم وعلوم الحديث الشريف وعلوم العقيدة الاسلامية، والسيرة النبوية، والفقه الإسلامية، والتاريخ الإسلامي، واللغة العربية، وقد أمضى المستشرقون كثيرا من الوقت في الدراسات الأدبية والتاريخية.

وان مجالات التأليف في الدراسات العربية والإسلامية لدى المستشرقين كثيرة جداً، وبلغ عدد ما ألفوه عن الشرق في قرن ونصف (منذ أوائل القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين ستين ألف كتاب)[1].

رابعا: التحقيق في علم الحديث .

أعتنى المستشرقون في بديات القرن التاسع عشر الميلادي بتحقيق عدد من المصنفات المهمة في علم الحديث وعلومه، وقد جاءت عنايتهم بذلك في وقت مبكر، قبل اهتمام المسلمين بتحقيق تراثهم ونشره، وقد نوه بتلك التحقيقات الشيخ أحمد محمد شاكر في مقدمة تحقيقه لسنن الترمذي، وقارنها بما ساد من تحقيقات ضعيفة في العالم الإسلامي، مليئة بالأخطاء الواضحة والنقص والتحريف، كما بين تمييز تحقيقات المستشرقين لكتب التراث، ولذلك كانت تحقيقات المستشرقين نفائس تقتني، وتغالى الناس في اقتنائها على علو ثمنها، كما كانت مرشدا للباحثين المحدثين وفي مقدمة من قلدهم وسار على نهجهم في التحقيق والتدقيق العلامة الحاج أحمد زكي باشا رحمة الله ثم من سار على سيرته واحتذى حذوه).

الشواهد على التحقيق في علم الحديث: أشهر المستشرقين المحققين:

١- تحقيق (كتاب صحيح البخاري) حيث نشر المستشرق الالماني (كريل) الأجزاء الثلاثة الأولى ١٩٠٨م).

٢ - تحقيق المستشرق الفرنسي (وليم مارسه) لكتاب التقريب والتيسير للنووي.

3- تحقيق المستشرق الألماني (فلايخامير) لكتاب علماء الامصار للإمام ابن حبان عام ١٩٥٩م).

4 - دائر المعارف الإسلامية: وتعد دائرة المعارف الإسلامية من أهم أعمال المستشرقين. لأنها جمعت جهودهم العلمية في عمل موحد، وتناول كل واحد ما يدخل ضمن تخصصه العلمي واشتملت على بحوث ودراسات وآراء معارف عظيمة الفائدة وأهمية، تغني عن خزانة علمية، وتوفر للبحث جهداً لا يستطيع تحقيقه في سبيل الاطلاع على كل ما يتعلق بالتراث الإسلامي.

البعثات الدراسية التي جاءت تنهل العلم من ديار الإسلام.

١ . البعثة الفرنسية برئاسة الأميرة «إليزابيث» ابنة خالة «لويس السادس» ملك فرنسا.

٢ . البعثة الإنجليزية برئاسة الأميرة (دوبان) ابنة الأمير جورج صاحب مقاطعة (ويلز).

٣ . البعثة الأسبانية التي كانت سنة ١٢٩٣ م والتي بلغ تعداد طلابها (٧٠٠) طالب وطالبة ([2]) وكان من بين هؤلاء الطلاب بعض الرهبان فرجع هؤلاء لبلادهم يحملون علوم الشرق الإسلامي الباهرة.

---

(1)دراسات في الحديث النبوي، وتاريخ تدوينه، محمد مصطفى الأعظمي، ص١٩.

(2) الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار . البهي الخولي ، ص ٥٣٢.

وكان من بين الدعاة المتحمسين الذين طالبوا بضرورة تعلم لغات الشرق لغرض التنصير «روجر بيكون» (١٢١٤ . ١٢٩٤ م) و «رايموندلول» (١٢٣٥ . ١٣١٦ م) وكان لهذين المستشرقين الأثر الكبير في إنشاء كراسي تدريس اللغة العربية في الجامعات الغربية على أثر قرارات مجمع (فينا) الكنسي في عام ١٣١٢ م الذي وافق على أفكارهما واقتراحاتهما بذلك فأنشأ خمسة كراسي جامعية في خمس جامعات غربية لتعليم اللغة العربية منها : باريس ، اكسفورد ، بولونيا ، سلمنكا .[1]

سمات المنهج الإستشراقي : السمات الرئيسية الثلاثة

أولا : التحريف: إن دراسة المستشرقين للعلوم الإسلامية بصفة عامة، والعلوم العقدية بصفة خاصة، اعتراها بالجملة، العديد من ألوان التغيير، والتبديل، والفهم الخبيث للمضمون، ومن بين المستشرقين الذين سلكوا هذا الجانب (جولد تسيهر) (و القس زويمر) و(فيليب حتى) وغيرهم، لكن ما يدعو للعجب وجود مستشرق مصري مسيحي بين هؤلاء المستشرقين وهو (عزيز عطية سوريال)، والذى يعمل بإحدى الجامعات الأمريكية، شديد الحقد على الإسلام والمسلمين، وكثير التحريف للتعاليم الإسلامية.

ثانيا: التعصب: من البين أن الباحث النزيه الشريف فى أي ميدان من الميادين لابد أن يتخلص من الهوى والميل الشخصي، ويتابع النصوص والمراجع الموثوق بها، لكن أغلب هؤلاء يضعون فى أذهانهم فكرة تصيد الأدلة لإثباتها، ولا يهمهم فى ذلك كونها صحيحة أم فاسدة .والأمثلة على ذلك كثيرة، فعلى سبيل المثال لا الحصر: المستشرق المجرى (جولد تسيهر) عندما أعرض عما أجمعت عليه كتب الجرح والتعديل، وكتب التاريخ من صدق الإمام (الزهري) (ت١٢٤هـ) وورعه وأمانته، وزعم أنه لم يكن كذلك، بل كان يضع الحديث للأمويين، وهو الذى وضع الحديث الشريف الذى روى عن ابي هريرة رضي الله عنه – أن النبي ﷺقَالَ: "لاَ تُشَد الرحالُ إلاَّ إِلَى ثَلاَثَةِ مساجِد ،الْمسجِدِ الْحرامِ، ومسجِدِ الرسولِ) ،)والمسجِدِ الأَقْصى)"، لعبد الملك بن مروان...

ثالثا: التناقض: من يبحث فى كتب المستشرقين، يجد هذه السمة واضحة وضح النهار، حيث إن ما قدموه من مقدمات لم يصلوا إليه من خلال نتائج سليمة، وقد أحسن المستشرق الفرنسي المسلم (ناصر الدين دينيه)، في حديثه عن المستشرقين، وحكمهم على الأشياء، مما جعلهم يتناقضون فيما بينهم، تناقضاً واضحاً فى الحكم على شيء واحد، كل ذلك لأنهم حاولوا أن يحللوا السيرة النبوية، وتاريخ ظهور الإسلام، بحسب العقلية الأوروبية، فضلوا وأضلوا ضلالاً بعيداً .وأظهر أن الذين حاولوا نقد سيرة النبي ﷺ بهذا الأسلوب الأوربي، لبثوا ثلاثة أرباع قرن يدققون، ويمحصون بزعمهم، حتى يهدموا ما اتفق عليه جمهور المسلمين، وبالنظر إلى آرائهم التي أتوا بها، لا نجد إلا خلطاً وخبطاً، وترى كل واحد منهم يقرر ما نقضه غيره من هؤلاء المدققين بزعمهم، أو ينقض ما قرره..

ويمكن تشخيص السمات -السمات العامة- التي أنفرد بها منهج الإستشراق عن المنهج العلمي المعتدل والمقبول بما يأتي :

1 - وضع النصوص في غير مواضعها ،وتحميلها ما لاتطيقه ألفاظها ولا تدل عليها معانيها خدمة لأغراض الاستشراق.

---

[1] تراث الإسلام . لجنة الجامعيين لنشر العلم بحث الأدب . جب ١ / ٢٧١ . ٢٧٢.

2- تحريف النصوص الإسلامية تحريفا مقصودا كما فعل (جولد زيهر) في زعمه أن أحاديث قراءة القران على سبعة أحرف هي قراءات عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكما فعل شاخت وغيره . وأساءتهم فهم العبارات حيث لا يجدون مجالا للتحريف .

3- اعتمادهم أقوالا باطله ردها علماء الإسلام بدلائل علميه حاسمه وتجاهلهم تلك الدلائل ، بل ينسبوها _ أحيانا _ إلى العلماء الذين ردوها على أنها آرائهم المعتمدة ، وقد فعل ذلك جولد زيهر ، حينما نسب أقوالا إلى أبن قتيبة في حين أنها تعود إلى غيره وقد ردها ابن قتيبة .

4- اقتطاع فقرة من نص علمي للاستدلال به على غرض خبيث ينقضه النص إذا ذكر كاملا .

5 -المخالطة في المناقشة العلمية وسوء الظن والفهم لكل ما يتصل بالإسلام في أهدافه ومقاصده.

6- إغفال الحقائق التي تخالف استنتاجاتهم على الرغم من الاطلاع عليها .

7 -تحريف دلالات الوقائع التاريخية ،والانحراف في تعليلها ، ويتم ذلك أحيانا بتحكيم المفاهيم الغربية في تفسير النصوص والوقائع التاريخية لجهلهم بطبيعة المجتمع الإسلامي على حقيقته ، فيحكم هؤلاء المستشرقون عليه من خلال مايعرفونه من أخلاق شعوبهم وعادات بلادهم . لذا فقد عللوا روائع الفتح ببواعث ورغبات مماثلة للنزوات الاستعمارية الغربية .

8 - الاعتماد على كتب ليست في مستوى البحث العلمي كاعتمادهم على كتب الأدب فيما يخص علم الحديث ، أو على كتب عرف مؤلفوها بالانحراف والابتداع :وتكذيبهم بما جاء في الكتب الموثوقة كالموطأ والصحيحين مثلا .

9 - تصوير المجتمع الإسلامي في مختلف العصور ، وخاصة في العصر الأول ،بمجتمع متفكك تقتل الأنانية رجاله وعظمائه .

10 - سوء الظن برجال المسلمين وعلمائهم وعظمائهم .

11 - تصوير الحضارة الإسلامية تصويرا أقل من الواقع كثيرا تهوينا لشأنها واحتقارا لآثارها .

ونقطة الختام هي الذكرى من أن أبحاثهم جاءت بعيدة كل البعد عن الموضوعية والمنهجية العلمية، وذلك نتيجة العداء للإسلام لدى كل الشيع وعبر مختلف العصور في أوربا ،فلم يكونوا ينصفون الحقيقة العلمية للعلم بل كانت أبحاثهم قائمة على أسس عقائدهم ، هادفة الى تحقيق مقاصدهم ،وأهدافهم .

أهداف الاستشراق:

لقد تعددت أهداف المستشرقين ما بين دينية، وسياسية، واستعمارية، ومما لا شك فيه أن الهدف الديني هو أس أهداف المستشرقين، ويعد أهم أسباب نشأته، وقد صاحب الاستشراق طوال مراحل تاريخه، وحتى نهاية القرن التاسع عشر، ولم يكن الاستشراق قد حرر نفسه من إيثار الخلفية الدينية التي اشتق منها أصلاً إلا بدرجة ضئيلة:

اولا: الهدف الديني:

فغاية الهدف الديني هي معرفة الإسلام لمحاربته وتشويهه وإبعاد النصارى عنه، وقد اتخذ النصاري المعرفة بالإسلام وسيلة لحملات التنصير التي انطلقت إلى البلاد الإسلامية، وكان هدفها الأول تنفير النصارى من الإسلام. ولذلك فإن الكتابات النصرانية المبكرة كانت من النوع المتعصب والحاقد جداً حتى إن بعض الباحثين الغربيين في العصر الحاضر كتب نقداً عنيفاً لاستشراق العصور

(الأوروبية) الوسطى من أمثال نورمان دانيال Norman Daniel في كتابه الإسلام والغرب. فقد كتب دانيال أن أسباب حقد النصارى وسوء فهمهم للإسلام مازال بعضه يؤثر في موقف الأوروبيين من الإسلام بالرغم من التحسن العظيم الحديث في الفهم والذي أشاد به بعض المسلمين..([1]) وكتاب ريتشارد سوذرن صورة الإسلام في العصور الوسطى. .([2])

فالذي يرجع لبداية تاريخ الاستشراق يجد أن الهدف الديني هو أساس انطلاقة الحركة الاستشراقية ولم يستطع الاستشراق أن يتحرر من إسار الخلفية الدينية وسأستعرض هذه الأهداف بشيء من التفصيل:

١ . منع انتشار الإسلام في أوربا وغيرها والحيلولة بينه وبينهم ،

٢ . اقتباس أفكار إيمانية من الإسلام لتثبيت أقدام الكنيسة في بلادها بفكر ديني معقول.

٣ . جعل الدراسات الاستشراقية مصدرا لتعليم الإسلام للمسلمين أنفسهم ومصدرا للدراسات عن الشرق عامة.

٤ . تمزيق الوحدة اللغوية في الأمة الإسلامية حرصا على تمزيق عقيدة الأمة ووحدتها.

٥ . إضعاف الشخصية الإسلامية بالاحتيال والتزوير في تاريخ الإسلام المجيد ، ومحاولة تحطيمها كذلك بالحرب النفسية.

٦ . تحويل المسلمين عن دينهم ، وإشاعة البلبلة الفكرية في صفوفهم ، وتحطيم الوحدة الفكرية التي تجمعهم ؛ لتصير البلاد لقمة سائغة للأعداء ، ويصير المسلمون أتباعا لهم خاضعين لسلطانهم.

٧ . تأييد الغزو الاستعماري لبلاد المسلمين والعمل على تحطيم المقاومة الإسلامية.

٨ . التنفير من العودة للخلافة الإسلامية

٩ . تشكيك المسلمين بقيمة تراثهم الحضاري .

ثانيا: أهداف علمية:

فقد رأى زعماء أوروبا " أنه إذا كانت أوروبا تريد النهوض الحضاري والعلمي فعليها بالتوجه إلى بواطن العلم تدرس لغاته وآدابه وحضارته" .([3]) وبالرجوع إلى قوائم الكتب التي ترجمت إلى اللغات الأوروبية لعرفنا حقيقة أهمية هذا الهدف من أهداف الاستشراق فالغربيين لم يتركوا مجالاً كتب فيه العلماء المسلمون حتى درسوا هذه الكتابات وترجموا عنها، وأخذوا منها.وكانت مقصد بعض من ظهروا في عصر التنوير في أوروبا وهؤلاء كانوا قلة .

ثالثا: أهداف تجارية: وقد ظهرت في عصر ما قبل الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي في القرنين التاسع عشر والعشرين؛ فقد كان الغربيون مهتمين بتوسع تجاراتهم ومن أجل هذا وجدوا أن الحاجة ماسة للسفر إلى البلدان الإسلامية والتعرف عليها حتى يحققوا ما يهدفون إليه من وراء ذلك؛ وذلك من خلال العديد من الفوائد التي تعود على تجاراتهم.

أهداف ثقافية:

---

1. Norman Daniel. Islam and The West: The Making of An Image. Revised edition ((Oxford: Oneworld,1993

2. ريتشارد سوذرن. صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى. ترجمة وتقديم رضوان السيد. (بيروت: معهد الإنماء العربي، 1984)

3. المصدر نفسه

قد حرص الغرب على الغزو الثقافي من خلال التغريب الفكري بعدة طرق ذكرها السيد محمد الشاهد فيما يأتي:

1 - " التعليم من حيث المنهج ومن حيث المادة العلمية ...

2 - وفي مجال الإعلام: تُسْتَغل كل وسائل الإعلام المتاحة وخاصة أفلام السينما والتلفاز (تأثير غير مباشر." .([1])

هذا بوجه عام . أما الهدف الرئيس من كل ذلك هو تحطيم أسس العلوم القرآنية وركائزها المتمثلة في المرويات المتصلة بالصحابة والتابعين , بقصد الخلوص الى نتيجة مفادها أن التراث التفسيري لم يدون إلا في مرحلة متأخرة من العصور الأولى . وقد نهج المستشرقون في كل ذلك طرائق عدة تمثلت في التشكيك في الروايات الصحيحة والتقليل من أهمية أعلام التفسير ومكانتهم.

دوافع اهتمام المستشرقين بالدراسات القرآنية:

من الظاهر الجلي أن المستشرقين لم يقبلوا على دراسة الشرق وآثاره وتاريخه هباء؛ بل كانت هناك عدة دوافع دفعتهم إلى ذلك، سواء أكانت الدوافع تتعلق بالإسلام بصفة عامة، أو بالدراسات القرآنية بصفة خاصة.

أولا: الدافع الديني: إن ترجمة القرآن الكريم لأول مرة كانت سنة ١١٤٣م "ومن خلالها اطلع رجال الكنيسة على ما ورد في القرآن الكريم بشأن عقائد النصارى، وأظهروا في حكم واضح وصريح أسس المسيحية الحقة التي نادى بها المسيح ودعا إليها وعرف بها...فأثبت أن عيسى (عليه السلام)بشر، وأنه رسول االله مؤيد بكتاب إلهي وبوحي سماوي وأنه نادى بعقيدة التوحيد فدعا إلى عبادة الإله الواحد الأحد، وقرر أنه لم يقتل، ولم يصلب، بل توفاه االله تعالى ورفعه إليه.

ثانيا: الدافع الاستعماري والسياسي: من أهم دوافع المستشرقين نحو دراسة الموضوعات القرآنية؛ الدافع الاستعماري، لأن عنايتهم توجهت نحو دوائر استعمارية لدراسته بدافع استعماري موجه إلى إضعاف العقيدة والشريعة الإسلامية القائمة عليه وتوهينها، فتناولوا العديد من الموضوعات والقضايا التي تثير الشكوك والريبة في نفوس المسلمين كالجهاد الذي أكده القرآن الكريم في العديد من آياته، وبذلوا جهدهم للقضاء عليه من خلال تصوير سيء مشوه للحقيقة التاريخية، يقول جون هيجل" :كان الإسلام دائماً، وسيبقى دائماً؛ دين السيف لأنه لا يمكن العثور على أي فكرة للحب في القرآن"

ومن بين الأمثلة العديدة على ارتباط الاستشراق بالاستعمار:

١ . المستشرق «كارل هينريخ بيكر» (ت ١٩٣٣ م) مؤسس (مجلة الإسلام) الألمانية الذي قام بدراسات تخدم الاستعمار الألماني في إفريقيا حيث حصل الرايخ الألماني في عام ١٨٨٥ . ١٨٨٦ م على مستعمرات في إفريقيا واستمر هذا الاستعمار إلى عام ١٩١٨ م.

٢ . المستشرق الروسي «بارثود» (ت ١٩٣٠ م) الذي تم تكليفه عن طريق الحكومة الروسية بالقيام ببحوث تخدم السيادة الروسية في آسيا الوسطى. وقد أسس مجلة باسم (عالم الإسلام) .

---

[1]. السيد محمد الشاهد. رحلة الفكر الإسلامي: من التأثر إلى التأزم. (بيروت: دار المنتخب العرب، 1414هـ/1994م) ص 181.

٣ . المستشرق (سنوك هورجرونية) عالم الإسلاميات الهولندي الشهير ، فإنه في سبيل خدمة الاستعمار توجه إلى مكة في عام ١٨٨٥ م بعد أن انتحل اسما إسلاميا هو (عبد الغفار) ، وأقام هناك ما يقرب من نصف عام ، وقد ساعده على ذلك أنه كان يجيد العربية كأحد أبنائها ، وقد لعب هذا المستشرق دورا هاما في تشكيل السياسة الثقافية والاستعمارية في المناطق المستعمرة للهولنديين في الهند الشرقية ، وقد شغل «سنوك» مناصب قيادية في السلطة الاستعمارية الهولندية في أندونيسيا[1].

ثالثا . الدافع التاريخي:

العلاقة بين الشرق والغرب قديمة جدا ، كان يصحبها في بعض الأحيان عداء وحروب بين الطرفين ، وصراع من أجل السيطرة سواء كانت فكرية أو عسكرية. مما يدعو كل طرف منهما للاطلاع على ما عند الآخر من عقائد ، وتراث وحضارة وعادات وقيم ليخترقه ويسيطر عليه من خلال نقاط الضعف التي فيها. ومن الأمثلة على ذلك الحروب الصليبية حيث اقتضت هذه الحروب استصحاب من له خبرة واطلاع على جغرافية الشرق وأحوال أهله ودياناتهم وعاداتهم .. إلى غير ذلك من الأمور. [2]

رابعا . الدافع العلمي:

من المستشرقين نفر قليل جدا أقبل على الدراسات الاستشراقية لإشباع نهم علمي متجرد. وذلك بدافع من حب الاطلاع على حضارات الأمم ، وأديانها ، وثقافاتها ، ولغاتها. وكان هؤلاء النفر من المستشرقين أقل من غيرهم خطأ في فهم الإسلام وتراثه ، حيث جاءت بحوثهم أقرب إلى الحق والصواب ، إلا أن موارد هؤلاء المالية الخاصة بهم كانت قليلة لا تسعفهم بالانصراف لمثل هذه الدراسات والتي لا تلقى رواجا عند رجال الدين ولا عند رجال السياسة في بلدانهم ؛ لذا كسدت بحوثهم فقل عددهم حتى أصبحوا نادرين وهؤلاء مع إخلاصهم في البحث والدراسة لم يسلموا من الأخطاء والاستنتاجات البعيدة عن الحق ، إما لجهلهم بأساليب اللغة العربية وإما لجهلهم بالأجواء التاريخية الإسلامية على حقيقتها ، فيتصورونها كما يتصورون مجتمعاتهم الغربية ، ناسين الفروق الطبيعية والنفسية والزمانية التي تفرق بين المجتمعين ، ومن استطاع من هؤلاء أن يعيش بقلبه وفكره ويتجرد من جو البيئة التي كان يعيش فيها ، أتى بنتائج توافق الحق والصدق والواقع ومثل هؤلاء المستشرقين لا يدعهم قومهم وشأنهم ، بل يهاجمونهم ، ويتهمونهم بالانحراف عن المنهج العلمي ، والانسياق وراء العاطفة لمجاملة المسلمين. ومن هؤلاء المستشرقين المستشرق «توماس أرنولد» الذي حين أنصف المسلمين في كتابه (الدعوة إلى الإسلام) الذي برهن فيه على تسامح المسلمين في جميع العصور مع مخالفيهم في الدين.

ومن هؤلاء المستشرقين من أدى به بحثه الخالص لوجه الحق إلى اعتناق الإسلام كما حصل ذلك مع المستشرق الفرنسي الفنان «دينيه» والذي سمى نفسه «ناصر الدين دينيه» وألف بعد ذلك مع عالم جزائري كتابا عن سيرة الرسول صلىالله‌عليه‌وسلم .و «لدينيه» كتاب آخر بعنوان (أشعة خاصة بنور الإسلام) بين فيه تحامل قومه على الإسلام ورسوله. ومنهم المستشرق المجري «عبد الكريم جرمانوس» الذي أسلم في الهند سنة ١٩٣٠ م والذي ألف أكثر من (١٥٠) كتابا عن الإسلام ومنهم الطبيب الفرنسي «موريس بوكاي» صاحب كتاب «دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف

---

1 الاستشراق . محمود حمدي زقزوق ص ٤٤.

(2) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري . د. محمود زقزوق ص ٧٤.

الحديثة» الذي أثبت فيه موافقة القرآن لأحدث الحقائق العلمية التي توصل إليها الناس بوسائلهم المختلفة اليوم ، وغير هؤلاء كثير. ومثل هؤلاء المستشرقين يحتاجون من المسلمين أن يتبنوا كتبهم بنشرها والوقوف بجانبهم في كل ما يحتاجونه من دعم مادي ومعنوي ، فإنهم أقدر منا وأبلغ في إيصال دعوة الإسلام لأبناء قومهم وذلك لمعرفتهم الشاملة بما يناسب قومهم من أساليب وبراهين ، وما هم بحاجة لكشفه من شبهات وتفنيد ما ترسب في نفوسهم من أباطيل وأكاذيب)[1](**وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ)** سورة يوسف (٢١).

اهتمام المستشرقين بالتفسير :

اتجه المستشرقون الى تحقيق بعض كتب التفسير في فترة مبكرة من القرن التاسع عشر الميلادي , اذ حقق الالماني فرايتاج (ت 1861م) كتاب (اسرار التأويل وأنوار التنزيل) , ونشره ليبزج عام 1845م . وحقق الانكليزي وليام ناسوليز (ت 1889 م) تفسير (الكشاف عن حقائق التأويل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل) . ونشر الالماني ادولف جروهمان (عيسى في القرآن) ضمن الجريدة الشرقية , عام 1914 م , ونشر رافلين (القانون في القرآن) عام 1927 م . ونشر جوتين (الصلاة في القرآن) عام 1955 م .

أما فيما يتعلق بمناهج المفسرين واتجاهات التفسير , فقد اتجه اليه المستشرقون منذ مطلع القرن العشرين , وتوسعت دائرة اهتمامهم به في منتصف القرن نفسه , فنشر الانكليزي هورسفيلد (بحوث جديدة في نظم القرآن وتفسيره) بلندن عام 1902م . ونشر الفرنسي كليمان هوار (وهب بن منبه والتراث اليهودي النصراني في اليمن) ضمن الجريدة الاسيوية في باريس 1904م . ونشر اجانس جولد تسيهر كتابه (مذاهب التفسير الاسلامي) عام 1921 م . ونشر ريتشارد هارتمان (تفسير القرآن) في مجلة الدراسات الشرقية عام 1924م .

ونشر الايطالي جويدي (شرح المعتزلة للقرآن) عام 1925 م . وكتب آرثر جفري (أبو عبيدة والقرآن) نشر عام 1938 م .

وبعد متابعة عدد من المصادر الخاصة بموضوع الاستشراق والتفسير , تبيَّن أن اهتمام المستشرقين بمناهج المفسرين واتجاهات التفسير كان وليد القرن العشرين . ظهر في مستهله , وتوسع في منتصفه .

ترجمة لبعض المستشرقين ممن عنوا بدراسة القرآن الكريم :

1- **ثيودور نولدكه** (1836 - 1930) يعد شيخ المستشرقين الألمان. ولد عام 1836 في هامبورغ، أتقن العربية، العبرية، والسريانية. درس في غوتنغن وفيينا وبرلين وليدن. حصل على الدكتوراه عام 1856م وهو في سن العشرين عن تاريخ القرآن. عين مدرساً للتاريخ الإسلامي في جامعة جوتنجن عام 1861. وأستاذ التوراة واللغات السامية في كييل عام 1864. توفي عام 1930م , من تلامذته :كارل بروكلمان .

[1] أجنحة المكر الثلاثة ص ١٢٩ ـ ١٣١ بتصرف.

أبرز مؤلفاته : (تاريخ القرآن) في ثلاثة أجزاء . و (تاريخ الشعوب السامية) . و (هل كان لمحمد معلمون نصارى؟) . (وتراجم المسلمين) . كما عاون شبرنجر في كتابه (سيرة محمد) . ذكر عبد الرحمن بدوي أن نولدكه يعد شيخ المستشرقين الألمان.

2- **آرثر جفري** (1310 - 1379 هـ / 1892 - 1959 م) هو مستشرق أسترالي.
من مؤلفاته : (مصادر تاريخ القرآن) صدر بالإنجليزية في سنة 1937 م. و (الكلمات الدخيلة في القرآن) صدر بالإنجليزية . و (القرآن ككتاب ديني) صدر بالإنجليزية في سنة 1952 م.

3- **توماس اكوي ناس** ، القديس توما الإكويني (1225 - 1274 م) كان كاهن دومينيكان و فيلسوف و لاهوتي إيطالي من الكنيسة الكاثوليكية يعتبر ممثل للفلسفة الاسكولائية . من أشهر تلاميذ البرت الكبير في باريس ، وذهب وراء كولون في سنة 1248 و رجع الى باريس وبقي استاذا في اللاهوت . عارض الفلسفة اللاتينية و قضى اخر ايام حياته في نابولي.
يمتاز مذهب توماس الإكويني بالتفريق بين الفلسفة و اللاهوت حيث انه كان يعتبر أن الفلسفة تعتمد على العقل وحده لكن اللاهوت يعول على الوحى من غير انكار للعقل ، وبهذه الطريقة قرب بين الفلسفة و الدين. يثق بالعقل الذي يستطيع أن يبرهن على وجود الاله و صفاته و يوصل للمعرفة اليقينية. استعان بأفكار ارسطو و افلاطون و ابن رشد لأنهم عنده كانوا يعتمدون على العقل السليم .له مؤلفات كثيرة تتناول الفلسفة و اللاهوت و فسر معظم كتب ارسطو وشرح اجزاء من الكتاب المقدس و كتب في التربية و القانون. ولا زالت فلسفته حيه في التعليم الديني و عند طائفة من الفلاسفة المعاصرين مثل جيلسون و مارتيان.

4- **إجناتس جولد سيهر** (1850 - 1921 م) مستشرق يهودي مجري .يعتبر على نطاق واسع بين مؤسسي الدراسات الإسلامية الحديثة في أوروبا. تلقى تعليمه في جامعة بودابست، برلين، لايدن بدعم وزير الثقافة الهنغاري. أصبح جامعيا في بودابست في عام (1872). في العام التالي تحت رعاية الحكومة الهنغارية ، بدأ رحلة عبر سوريا وفلسطين ومصر، واستغل الفرصة لحضور محاضرات المشايخ المسلمين في مسجد الازهر في مدينة القاهرة. وكان أول يهودي في العالم ليصبح استاذا في جامعة بودابست (1894)، وممثل الحكومة الهنغارية وأكاديمية العلوم في مؤتمرات دولية عديدة. أصبح عضوا في العديد من من الجمعيات في هنغاريا وغيرها ، عين أمينا للجالية اليهودية في بودابست.
أول مستشرق قام بمحاولة واسعة شاملة للتشكيك في الحديث النبوي كان المستشرق اليهودي "جولد سيهر" الذي يعده المستشرقون أعمق العارفين بالحديث النبوي. ألف الكتب وكتب المقالات بهدف الطعن في السنة وليس البحث العلمي، ومكث سلطانه وسلطان مدرسته متسلطا على كثير من المستشرقين والذين ينتمون إلى هذا الدين . واعتبروا كتبه المرجع الأساس في دراساتهم للأحاديث والسنن ولم يخرج عن متابعته في كل ما قاله الا فئة قليلة جدا من المستشرقين المتأخرين عنه فقد تحرروا من متابعته وناقشوه في بعض ما قال ورأوا في أحكامه على السنة جورا وظلما.
وقد نقل عبد الحليم النجار كتاب «العقيدة والشريعة في الإسلام» لجولدتسيهر الى العربية.

5- **أبراهام جيجر**(1810 -1874 م) هو حَبْر يهودي ألماني تناول بالدراسة المشابه بين القرآن وبين الكتب المقدسة عند اليهود.

6- **هنري ستوب** : ولد هنري ستوب في انجلترا لرجل دين مسيحي بروتستانتي صاحب رأي ،فقد تمسك بعقيدة عدم وجوب تجديد العماد ومن ثم طرد من كنيسته وبلده .

لقد أثارت افتراءات المستشرقين شعور الدكتور هنري ستوب ،وأحرجت ضميره ،فانتدب نفسه للدفاع عن محمد (ﷺ) وتبرئته من تشويهات وافتراءات القوم . وكم كان هذا الرجل شجاعاً إذ وقف ضد التيار الجارف في الغرب , لقد امتلأت روحه وعقله وضميره بالحرج أمام ركام الزيف من الخرافات والأساطير التي نسجها المسيحيون الغربيون حول الإسلام ورسوله ،وتوطنت عقول العامة والخاصة منهم ، وتجذرت في مشاعرهم ووجداناتهم حتى كادت أن تتميز كرهاً وخوفاً. فألف أول كتاب إنجليزي يدافع عن الرسول ورسالته ضد افتراءات المفترين , ويعد الوثيقة التاريخية الفريدة والنادرة التي ألفها د. هنري ستوب، أحد علماء القرن 17 م تحت عنوان (دفاع عن الرسول والإسلام)، وهو أول كتاب باللغة الإنجليزية، ولعله أول كتاب غربي قام بهذه المهمة النبيلة التي تفضح مواقف كثير من النصارى الأوروبيين من الإسلام ورسوله والذي خرج عن السياق النمطي المألوف الذي انزلق فيه كبار المستشرقين ، أمثال: دانتي وشكسبير وفولتير وغيرهم؛ لكن صاحبنا كان يتمتع بعقل حر وتفكير مستقل تمثل في كراهيته للتقليد والجمود وتجافيه عن التعصب الأعمى والانغلاق على الذات، ما دفعه للاعتراف بالآخر وتقديره بأمانة وموضوعية كما هو في الواقع المتعين وليس كما تهوى الأنفس ويمليه الظن السيئ فإن الظن لا يغني عن الحق شيئاً، فقد ألف كتابه في القرن (17) م، أي في عصر الجهالة في موقف الغرب من الإسلام.

ومما يؤسف له أن هذا الكتاب قد بقي ،لأمر ما ، مخطوطاً قرابة قرنين ونصف من الزمان ،إلى أن هيأ الله له نزيل لندن الهندي حافظ شيراني فقام على تحقيقه وتوثيقه ونشره في لندن سنة 1911،ثم أعادت تصويره مكتبة أكسفورد وكمبردج ونشرته دار Orientalia في لاهور سنة 1975م.

آثار الدراسات الاستشراقية:

قدّم الاستشراق خدمات كبيرة للغرب النصراني في خدمة أهدافه التي قام من أجلها من أهداف دينية وسياسية واقتصادية واستعمارية وثقافية. وحتى عندما استغنى الغرب عن مصطلح الاستشراق وأنشأ أقسام دراسات الشرق الأوسط أو الشرق الأدنى أو مراكز البحوث المختلفة فما زالت الأهداف القديمة موجودة. ولكنه في الوقت نفسه أثر تأثيرات سلبية في العالم الإسلامي في المجالات العقدية، والتشريعية، والسياسية، والاقتصادية والثقافية.

وفيما يأتي أبرز هذه الآثار:

الآثار العقدية: من أبرز الآثار العقدية للاستشراق في العالم الإسلامي ظهور تيار من المفكرين والعلماء والسياسيين وحتى الناس العاديين أو العامة الذين نادوا بفصل الدين عن الحياة.

الآثار الاجتماعية : تعد الآثار الاجتماعية من أخطر الآثار التي ما زال الاستشراق حريصاً على تحقيقها في العالم الإسلامي. فقد اهتم المستشرقون بدراسة المجتمعات الإسلامية ومعرفتها معرفة

وثيقة حتى يمكنهم أن يؤثروا فيها بنجاح. وإن دوافعهم لهذا تنطلق من النظرة الاستعلائية الغربية بأن المجتمعات الغربية وما ساد فيها من فلسفات ونظريات هي المجتمعات الأرقى في العالم.

الآثار السياسية والاقتصادية: يزعم الغربيون أن الديموقراطية الغربية هي أفضل نظام توصل إليه البشر حتى الآن، ولذلك فهم يسعون إلى أن يسود هذا النظام العالم أجمع، ومن بين الدول التي يريدون لنظامهم أن يسودها البلاد الإسلامية. وقد سعوا إلى هذا من خلال عدة سبل وأبرزها هو انتقاد النظام السياسي الإسلامي. وقد ظهرت كتب كثيرة عن نظام الخلافة الإسلامي وافتروا على الخلفاء الراشدين بزعمهم أن وصول الصديق وعمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) إلى الخلافة كان نتيجة لمؤامرة بين الاثنين.

الآثار الثقافية والفكرية: حقق الاستشراق نجاحاً كبيراً في التأثير في الحياة الثقافية والفكرية في العالم الإسلامي فبعد أن كان القرآن الكريم والسنّة المطهرة وتراث علماء الأمة الذين فهموا هذين المصدرين فهماً جيداً وعاش المسلمون على هدي من هذه المصادر في جميع مجالات الحياة أصبحت المصادر الغربية تدخل في التكوين الفكري والثقافي لهذه الأمة سواء أكان في نظرتها لكتاب ربها سبحانه وتعالى ولسنة نبيها أو للفقه أو للعلوم الشرعية الأخرى. أو في منهجية فهم هذه المصادر ومنهجية التعامل معها كما أثر الفكر الغربي في المجالات الفكرية الأخرى كالتاريخ أو علم الاجتماع أو علم النفس أو علم الإنسان أو غيره من العلوم. .([1])

شبهات المستشرقين حول التفسير بالمأثور

أثار المستشرقون حول التفسير بالمأثور ؛ عدة شبهات ؛ وذلك للتقليل من شأن القرآن الكريم ، والتشكيك في موثوقيته ، وقطع الصلة بينه وبين المسلمين ، وإحداث الاضطرابات في عقول القراء والمثقفين .

وهذه بعض شبهاتهم :

أولاً :شبهة امتناع بعض الصحابة والتابعين عن تفسير القرآن الكريم

ذكر المستشرق (جولد زيهر) في كتابه : المذاهب الاسلامية في تفسير القرآن ،دعوى امتناع الصحابة والتابعين والعلماء عن تفسير القرآن الكريم فقال :

" إن هذا النوع من النظر والتأليف لم يصادف تشجيعاً في الأوساط الدينية في الاسلام قديماً فحسب ؛ بل إن العلماء والفقهاء حذروا من ذلك غاية التحذير ، ولدينا شواهد من القرن الثاني الهجري تدل على أن الاشتغال بالتفسير كان ينظر إليه بعين الريبة ، وأن الرأي إزاء هذا العمل كان مصحوباً بالمقاومة له والفزع منه ." ثم ذكر بعض الشواهد على ما يزعم ؛ عن بعض الصحابة والتابعين والعلماء ، واستدل كذلك بقصة عن سيدنا عمر وضربه لرجل يسمى (ابن صَبِيغ) لأنه يسأل عن المعاني الغامضة في القرآن الكريم. كما ذكر رواية محكية عن الامام أحمد : ثلاثة أشياء لا أصل لها : التفسير والملاحم والمغازي. (2)

---

1. الاستشراق (ص: 31)

2 –راجع زيهر– جولد – **المذاهب الاسلامية في تفسير القرآن** – مرجع سابق – ص 54، 55 بتصرف واختصار

ثانياً: شبهة التضاد في روايات التفسير والرد عليها

ومن مزاعم (جولد زيهر) حول التفسير بالمأثور: أن التضاد والاختلاف في روايات التفسير بالمأثور يقلل من قيمتها فيقول فى كتابه "المذاهب الإسلامية فى تفسير القرآن" - ما نصه: (وإنما لمما يلفت النظر فى هذا المحيط، هذه الظاهرة الغريبة، وهى أن التعاليم المنسوبة إلى ابن عباس تحمل طابع التصديق بشكل متساو، وهى فى نفسها تظهر فى تضاد شديد بينها وبين بعضها، مما لا يقبل التوسط أو التوفيق"[1]

ثم يقول بعد كلام ساقه فى هذا الموضوع: "ويمكن أن يُرى من ذلك إلى أى حد يكون مقدار صحة الرأى المستند إلى ابن عباس، وإلى أى حد يمكن الاعتراف به. وما نعتبره بالنسبة له وللآراء المأثورة عنه، يمكن أن يُعتبر إلى أقصى حد بالنسبة للتفسير المأثور، فالأقوال المتناقضة يمكن أن ترجع دائماً إلى قائل واحد، معتمدة فى الوقت نفسه على أسانيد مرضية موثوق بها ..."[2]

ثالثا: الطعن في رجال التفسير بالمأثور

اتهم جولدزيهر سيدنا ابن عباس وغيره من الصحابة ﷺ والتابعين ، بالتوسع فى الأخذ عن أهل الكتاب، وعرض زعمه هذا فى كتابه المذاهب الإسلامية فى تفسير القرآن ،وسنتعرض لنموذج من رجال التفسير؛ وهو سيدنا عبد الله بن عباس ﷺ .

يقول جولدزيهر: "وكثيراً ما يُذكر أنه فيما يتعلق بتفسير القرآن، كان - أى ابن عباس - يرجع إلى رجل يسمى أبا الجلد غيلان بن فروة الأزدى، الذى أثنى الناس عليه بأنه كان يقرأ الكتب، وعن ميمونة ابنته أنها قالت: كان أبى يقرأ القرآن فى كل سبعة أيام، ويختم التوراة فى ستة، يقرؤها نظراً، فإذا كان يوم ختمها، حشد لذلك ناس، وكان يقول: كان يُقال تنزل عند ختمها الرحمة، وهذا الخبر المبالغ فيه من ابنته يمكن أن يبين لنا مكان الأب فى الاستفادة من التوراة.

---

[1] – جولد زيهر – **المذاهب الإسلامية فى تفسير القرآن** – مرجع سابق – ص 78وما بعدها

[2] – جولد زيهر – **المذاهب الإسلامية فى تفسير القرآن** – مرجع سابق– ص81بتصرف

مناهج المستشرقين المفسرين من خلال دراساتهم للقرآن الكريم

أولا : منهج التشكيك فيما هو قطعي

منهج التشكيك هو أحد المناهج التي ينتهجها المستشرقون، بل هو العماد الذي يتكئ عليه الفكر الغربي، وأول من دعا إليه هو المستشرق والفيلسوف الغربي رينيه ديكارت، إذ يقول: "أنا أشك إذن أنا موجود" والشك عند ديكارت هو خطوة التأمل الفلسفي الأولى والأساسية، وهو السبيل الأمثل للوصول إلى اليقين، وهو وسيلة للحصول على معرفة الحقيقة معرفة أكثر وضوحا، ويَنْصَب ذلك التشكيك أولا وأخيرا في كل ما يتصل بدين الإسلام بداية بالقرآن الكريم والسنة النبوية ونهاية بالتاريخ والسيرة، ومنهج التشكيك هذا متوارث بين أجيال المستشرقين فالجيل المعاصر يتبع أسلافه تبعية عمياء، إذ يسيرون في ركابهم ويطبقون مناهجهم وقواعدهم مجافين للقواعد العلمية الصحيحة والمتعارف عليها عند العلماء والباحثين ، ويبالغون كثيرا إلى حد التعدي في التشكيك في الآثار والروايات التاريخية التي تتصل بالقرآن الكريم وعلومه، وعلى وجه الخصوص فيما يتصل بالقصص القرآني.

فلقد حاول المشركون قديما الطعن في القرآن الكريم، والانتقاص منه، وباءت كل محاولاتهم بالفشل، وسجل القرآن عليهم هذه المطاعن، مفندا مزاعمهم، قال تعالى: {وقَالُوا أَساطِير الْأَ?لِين اكْتَتَبها فَهِي تُملَى علَيهِ بكْرةً وأَصِيلًا} [الفرقان: ٥ ،[ووصفوه بأنه مفترى من عند محمد، قال تعالى: {أَم يقُولُون افْتَراه قُلْ فَأْتُوا بِسورةٍ مِثْلِهِ وادعوا منِ استَطَعتُم مِن دونِ اللَّهِ إِن كُنْتُم صادِقِين} [يونس: ٣٨ ،[وقالوا عنه: {فَقَالَ إِن هذَا إِلَّا سِحر يؤْثَر} [المدثر: ٢٤] واتهموا الرسول بأنه تلقى القرآن تعلما بين يدي راهب أعجمي، وهذا ما ردده المستشرق الفرنسي (بلاشير) في كتابه: (القرآن، نزوله، ترجمته، تأثيره وغيره من المستشرقين، قال تعالى: {ولَقَد نَعلَم أَنَّهم يقُولُون إِنَّما يعلِّمه بشَر لِسان الَّذِي يلْحِدون إِلَيهِ أَعجمِي وهذَا لِسان عربِي مبِين} [النحل :١٠٣]

والمستشرقون ممن ينتمون إلى مذهب الشك، يقسمون الشك إلى قسمين حسب آراءهم وتصوراتهم الشخصية، التي لا ترتكز على قواعد علمية صحيحة، وهما:

1 - الشك المنهجي، ويصفونه بالمعتدل، ويدّعون أن الغرض منه هو التوصل إلى الحقائق، ومن يأخذ بهذا الشك فهو أقرب إلى الموضوعية من الجامد أو الجاحد.

2 - الشك المذهبي أو المعرفي، لأنه شك في أصل المعرفة، ويصفونه بالمتطرف، وهذا شك لا غرض منه سوى العبثية، لأنه هو في نفسه مذهب فلا ثوابت له، فصاحبه يشك ويشك في أنه يشك، وهو مذهب السوفسطائيين[1].

لقد انساق المستشرقون المعاصرون مع أسلافهم في اتباع منهج الشك والمبالغة في إثارة الشكوك حول الوقائع التاريخية الثابتة، والروايات الصحيحة المرتبطة بتاريخ القرآن وعلومه، واعتمدوا في ذلك على عملية الانتقاء بطريقة مغرضة وهادفة إلى ما يصبون إليه من نتائج عكسية، كما أن عدم ثقتهم في صحة النص القرآني دفعهم إلى الشك في أمانة نقله وسلامة تبليغه، إضافة إلى الشك في جمعه وترتيبه، وهكذا يدعي كثير من المستشرقين أن النص القرآني الذي جاء به محمد (ﷺ) قد نالته - بعد إفضائه به إلى الناس - تعديلات بالزيادة والنقصان خاصة في صورته المكتوبة

[1] نظرية المعرفة عند مفكري الإسلام وفلاسفة الغرب المعاصرين، د.محمود زيدان.

[1]، ووجدوا في موضوع اختلاف المصاحف الخاصة التي كانت بأيدي بعض الصحابة ميداناً يخبُّون فيه ليشفوا رغبة في صدورهم: هي زلزلة العقيدة وفتح أبواب الشكوك والارتياب، فهؤلاء المستشرقون يعرفون أن الشك في نص يوجب الشك في آخر؛ ولذلك فهم يلحون في طلب روايات الاختلاف، وينقلونها في غير تحرز، ويؤيدونها غالباً، ولا يمتحنون أسانيدها، ولا يلتفتون إلى آراء علماء المسلمين فيها.

وقد جمع المستشرق الإنجليزي آرثر جفري Arthur Jeffery[2] الاختلافات المنسوبة إلى المصاحف الفردية لبعض الصحابة أمثال:

ابن مسعود، وأبي بن كعب، وعلي بن أبي طالب، وابن عباس، وأبي موسى الأشعري، وحفصة، وأنس بن مالك، وزيد بن ثابت، وغيرهم، كما جمع الاختلافات المنسوبة إلى بعض مصاحف التابعين، وقد جمع ذلك من مختلف المصادر القديمة التي احتفظت بالروايات الآحاد والشاذة المنسوبة إليهم، وبخاصة تفسير الطبري الذي استقصى الشيء الكثير من ذلك.

ومع أن بعضهم لا يجدون مناصاً من الاعتراف بأن بعض الاختلافات تبدو مستحيلة من الناحية اللغوية، وبعضها الآخر يشعر أنها مما اخترعه بعض اللغويين الذين نسبوها لهؤلاء الصحابة والتابعين، فإنهم يصفون مصحف عثمان (رضي الله عنه) بأنه أقرب المصاحف إلى الأصل [3]، ولا يقولون إنه الأصل الموثوق به نفسه، فهم يتحاشون الاعتراف بأن القرآن الكريم قد جُمع وفق منهج علمي رصين قوامه التوثيق والدقة والتثبت، وقد أجمع الصحابة على صحة هذا الجمع وتلقوه بالقبول والعناية، وأخذوا بما تضمنه من الأوجه والقراءات[4]، ومن ضمن هؤلاء الصحابة _ بطبيعة الحال _ جميع الصحابة الذين حشد لهم آرثر جفري مصاحف خاصة تتضمن بعض الاختلافات، ومنهم علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) الذي قال: ((أعظم الناس في المصاحف أجراً أبو بكر فإنه أول من جمع ما بين اللوحين)) [5].

كما أن زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير اللذين ذكر لهما جفري مصحفين خاصين كانا ضمن اللجنة الرباعية التي شكّلها عثمان بن عفان (رضي الله عنه) لجمع القرآن في عهده.

لقد أدرك المسلمون منذ قديم أن هذه المصاحف الخاصة التي أمر الخليفة عثمان (رضي الله عنه) بإحراقها على ملأ من الصحابة، وبموافقتهم _ ولم يبق منها شيء _ قد كتبها أصحابها لأنفسهم، وأنها عبارة عن تقييدات خاصة تضمنت ما كانت روايته آحاداً أو شاذة، وما نسخت تلاوته، فضلاً عن مختلف التفسيرات والشروح التي كانوا يسمعونها من رسول الله ﷺ، ويحرصون على تقييدها للاستعانة بها في استيعاب مضامين الآيات القرآنية.

لقد وجد المستشرق ولش Welch كاتب مادة ((القرآن)) في دائرة المعارف الإسلامية في طبعتها الجديدة [6] في انفراد ابن مسعود (رضي الله عنه) بمصحف خاص خال من ذكر

---

(1) Encyclopédie de l'Islam , 2ème édition 1985 (5/405).

(2) قام الرجل بنشر كتاب ((المصاحف)) لابن أبي داود (ت 316) وألحق جفري بكتاب المصاحف مقدمة مطولة باللغة الإنجليزية ضمنها ما زعم أنها مصاحف الصحابة الخاصة.

Arthur Jeffery: Materials for the History of the Text of the Quran,Istanbul 1937.

(3) Materials p 10.

(4) د. لبيب السعيد: الجمع الصوتي الأول للقرآن، طبعة دار المعارف بالقاهرة 1978 ص 323.

(5) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي. طبعة دار الكتب العلمية ببيروت، 1/ 127.

(6) Encyclopèdie de l'Islam, art ((Quran)).T 5 p: 410.

المعوذتين[1] باباً يلجه كما ولجه غيره للتشكيك في مدى تواتر السورتين، وبالتالي التشكيك في مدى موثوقية القرآن الكريم، لقد حاول الرجل تدعيم ما ذهب إليه بنصوص منقطعة وضعيفة تصيدها من كتاب ((المصاحف)) لابن أبي داود وغيره من الكتب التي لم تتحر الصحة في النقل. ولا شك في أن الرأي المنسوب إلى ابن مسعود (رضي الله عنه) باطل من أساسه، وقد ردَّه كثير من العلماء منهم الإمام الباقلاني (ت 403هـ) في كتابه ((إعجاز القرآن)) فقال [2]: ((.....ولو كان قد أنكر السورتين على ما ادعوا لكانت الصحابة تناظره على ذلك وكان يظهر وينتشر، فقد تناظروا في أقل من هذا. وهذا أمر يوجب التكفير والتضليل، فكيف يجوز أن يقع التخفيف فيه؟ وقد علمنا إجماعهم على ما جمعوه في المصحف...)) ثم بين كيف أن الرواية المنقولة بهذا الصدد لا تعدو أن تكون خبر آحاد لا يسكن إليه، ولا يعول عليه. كما كذَّب الإمام النووي هذه الرواية فقال: ((أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة وسائر السور المكتوبة في المصحف قرآن، وأن من جحد شيئا منها كفر، وما نقل عن ابن مسعود _ في الفاتحة والمعوذتين _ باطل وليس بصحيح عنه)) [3] وينقل النووي أيضا عن المازري قوله في تعليل هذه الرواية فيما لو كانت صحيحة: ((ويحتمل مما روي من إسقاط المعوذتين من مصحف ابن مسعود أنه اعتقد أنه لا يلزمه كَتب كل القرآن وكَتَب ما سواهما وتركهما لشهرتهما عنده وعند الناس)) [4].

ولعل أبرز دليل على أن عدم كتابة المعوذتين في مصحف ابن مسعود لا تعني عدم حفظه لهما أن الفاتحة هي بدورها ليست في مصحفه، فهل يعقل أن ينكر ابن مسعود السورة التي لا صلاة لمن لم يقرأ بها.

فالمستشرقون إذن بالرغم من اقتناعهم بتواتر جميع سور القرآن جيلاً بعد جيل، ولاسيما أن التاريخ لم يذكر لنا تبني أية طائفة من المسلمين لهذا الرأي الباطل المنسوب إلى ابن مسعود، فإنهم يسعون إلى التشكيك فيما هو قطعي ومتواتر، وتنطق به ملايين النسخ من المصاحف المطبوعة في مختلف بقاع العالم. إضافة إلى خصيصة الحفظ في الصدور التي تميز الأمة الإسلامية، والتي تؤكد أن حفظ القرآن عن ظهر قلب بالسند المتصل إلى رسول الله ﷺ أكبر دليل على موثوقية النص القرآني وحفظه من كل زيادة أو نقصان.

ثانيا: منهج الانتقاء في استعمال المصادر

لا شك أن فعالية المنهج المتبع في أية دراسة، تتوقف على قيمة المصادر والروافد المعتمدة؛ إذ هي القاعدة المغذية والمادة الخام التي ترتكز عليها الدراسة، فكلما كانت المصادر رئيسة وأصيلة وذات علاقة مباشرة بالموضوع، كانت الدراسة أقرب إلى حصول المراد المنشود والمبتغى المقصود من طرف الباحث.

وفي إطار البحث الاستشراقي يتبين أن المنهج المتبع في انتقاء المصادر المعينة على بحث الموضوعات المرتبطة بالقرآنيات يتنوع ويختلف تبعاً لطبيعة الموضوعات المطروقة من جهة،

---

(1) في روايات أخرى أن مصحفه خال أيضا من الفاتحة، انظر الإتقان 184/1.

(2) الباقلاني: إعجاز القرآن، طبعة عالم الكتب ببيروت 1988 ص 262.

(3) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي 185/1.

(4) شرح النووي على صحيح مسلم 108/2 -110.

ولمدى موضوعية المستشرق وأمانته العلمية أو حياده على الأقل في توظيف تلك المصادر والنقل عنها من جهة ثانية.

وسنتحدث فيما يلي عن بعض النقاط التي تبرز لنا نوع الخلل المنهجي الذي ينال أحيانا بعض دراسات المستشرقين في هذا المضمار؛ إيماناً منا بأن دراسات المستشرقين في مجال القرآنيات ليست كغيرها _ لا لشيء _ إلا لكونها منصبَّة على موضوع يرتبط بمسألة الوحي المنَزل على رسول الله (ﷺ) الذي لايؤمن به الباحث، ولا يمكن أن يتعاطف معه مبدئياً، وبالتالي لابد من أن تؤثر فيه قناعاته الدينية في مجال البحث، ولعل أبرز مواطن الخلل التي يمكن الإشارة إليها ما يلي:

1 - اعتماد عدد معين ومحدود من مصنفات علوم القرآن دون غيرها

2 - انتقاء الروايات الضعيفة والمنقطعة من مصادر علوم القرآن.

3 - توليد النصوص والشواهد بتصيدها من كتب الأدب والتاريخ وغيرها

4 - إهمال المصادر القرآنية الأصيلة والاحتفاء بدراسات المستشرقين السالفة.

يبدو أن من أخطاء منهج المستشرقين في اعتماد مصادر ومراجع معينة تعمُّد عدم الاكتراث بموثوقيتها وأولوية بعضها؛ لهذا نجد أن المستشرق الذي يسعى إلى فرض فكرة معينة وتكريسها لا يلقي بالاً إلى المصادر التي ترمي مضامينها إلى نقيض ما يذهب إليه، وهو يعمد في الغالب إلى تقديم كتب ثانوية وغير موثوقة على ما هو معروف من كتب موثوقة ومعوَّل عليها، وهذا المنهج الخاطئ كفيل بأن يؤدي إلى نتائج مغلوطة وخاطئة أريد لها أن تكون كذلك.

،من ذلك ما أورده المستشرق ولش فيما وجده عند السيوطي في كتاب الإتقان في علوم القرآن بعرضه لروايات ضعيفة تبين الإختلاف في أولية جمع القرآن الكريم بين عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهما ليوهم القارئ بوجود خلاف بين العلماء من الصحابة والتابعين فيمن جمع القرآن الكريم الجمعة الأولى ، لكي يسند الأولية في جمع القرآن الكريم إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه تارة ، وتارة إلى علي رضي الله عنه، و أيضا ينقل رواية عن ابن أبي داود فحواها أن الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه بدأ بجمع القرآن ، ثم أكمل جمعه عمر رضي الله عنه، ثم ينقل عن ابن سعد في طبقاته رواية مفادها أن عمر رضي الله عنه توفي ولم يكمل جَمْع القرآن . [1] وكل هذه الروايات الموضوعة والضعيفة والأخبار الكاذبة تتعارض مع الرواية الصحيحة التي ذكرها البخاري في صحيحة والتي تعمد المستشرق ولش وغيره من المستشرقين الذين تناولوا موضوع جمع القرآن التغافل عنها وعدم ذكرها . ويختلف البحث الاستشراقي في حقل القرآنيات من أن أول مَنْ جَمَعَ القرآن الكريم هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه [2].

ويبدو أن من أعظم أخطاء هذا المنهج المتمثل في عدم ترتيب المصادر حسب موثوقيتها وقيمتها تقديم كتب المستشرقين على غيرها من كتب العلماء المسلمين الأوائل في نقل الروايات، والنصوص القديمة.

إن بلاشير الفرنسي مثلاً لا يتوانى في الإحالة على كتاب ((تاريخ القرآن)) للمستشرق الألماني نولدكه كلما تعلق الأمر بذكر أحاديث نبوية أو روايات مأثورة[3] تختص بمسألة جمع القرآن - مثلا -

---

(1)) .ينظر:الإتقان في علوم القرآن :للسيوطي (1،164) و ينظر:طبقات ابن سعد280/3

ينظر : قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية (24) ومناهج المستشرقين البحثية في دراسة القرآن الكريم (15).

(2)مناهج المستشرقين البحثية في دراسة القرآن الكريم) 15 (و ينظر((: مذاهب التفسير الإسلامي))لجولد زيهر (ص7)

(3) انظر مثلا ص 69 حيث أحال في الحاشية 89 على كتاب نولدكه فيما يخص حديثا رواه أنس بن مالك.

والتي نقلها العلماء المسلمون في كتبهم، والمثير للغرابة أن يلجأ بلاشير في حاشية واحدة إلى الإحالة على كتاب نولدكه أولا، ثم يتبعه بكتاب الواحدي في أسباب النُّزول وتفسير أبي حيان، ثم الإتقان للسيوطي [1]. والمستشرق ولش في مادة ((القرآن))[2] يقول: ((لاشيء في القرآن يدل على أن معنى (الأمي) الذي لا يقرأ ولا يكتب، وبدل الرجوع إلى كتب التفسير يحيل مباشرة بعد قوله هذا على (نولدكه) في تاريخ القرآن (14/1)، وبيل في كتابه (ص33)، وبلاشير في مدخله (ص 6- 12).

ويعد لجوء المستشرقين إلى الإحالة على كتب زملائهم السابقين أولاً، ثم الإشارة بعد ذلك إلى المصادر العربية الأصيلة أمراً يكاد يكون مطرداً.

والأدهى من ذلك أن نعثر في كتاب بلاشير على حاشية يحيل فيها على كتاب نولدكه ثم يضع بين قوسين إشارة إلى أن نولدكه قد أسند نقله إلى الطبري في تفسيره، لكن تبين لبلاشير أن الإحالة غير صحيحة ونص عليها، ومع ذلك نجد الرجل لا يعير المسألة أدنى اهتمام، بل يمضي قدماً ويستشهد بما ذكره سلفه من نقول أو روايات تخدم هدفه ومرماه[3] إضافة إلى كل هذا فإن الترجمة من المصادر الأجنبية كثيرا ما يغير بها لفظ الشيء المترجم، وبخاصة إذا كان اسم مكان أو اسم شخص غريب لا علم للمترجم به، فلا ينفع في هذه الحالة إلا الرجوع إلى المصادر الأصيلة.

---

(1) Blachère: op.cit p 243 note 349.

(2) Encyclopédie de l'Islam p 404.

(3) R. Blachère: Introduction au Coran p 69, note 89.

ونص كلام بلاشير: ((انظر كتاب نولدكه ((تاريخ القرآن)) (مع حاشية تحيل على تفسير الطبري لكنه غير صحيح) حيث يورد نولدكه رواية مفادها أن الصحابي أنس بن مالك (ت 91هـ) كان يعد قراءة ((أقوم)) مثل ((أصوب)) في الآية 6 من سورة المزمل)).

ثالثا: منهج الأثر والتأثر – النزعة الأثرية

هذا المنهج يعني الأخذ بالنَّزعة التأثيرية، وهي نزعة دراسية يأخذ بها معظم المستشرقين الذين اعتادوا رد كل عناصر منظومة الإسلام بعد تجزئتها إلى اليهودية والنصرانية.

لقد كان المستشرقون القدامى أكثر اهتماماً بهذه النزعة في كتاباتهم، حتى إن أحدهم وهو اليهودي أبراهام غايغر A.Geiger أصدر عام 1833م كتابا يحمل عنوانا مثيرا هو: ((ماذا أخذ القرآن عن اليهودية؟))[1] وقد كان هذا الكتاب إيذاناً ببداية حقبة جديدة في البحث الاستشراقي تهدف إلى التنقيب عن كل ما قد يبدو للمستشرقين في القرآن منقولاً ومستقى من اليهودية، وقد أقبلت أبحاث هؤلاء تفكك مضامين القرآن الكريم؛ لتردها إلى عناصر توراتية _ يهودية مزعومة.

ومما لاشك فيه أن الأحكام التعسفية المرتبطة بهذا المنهج تكون حاضرة في كتابات المستشرقين كلما وجد تشابه بين الموضوعات القرآنية والموضوعات المبثوثة في الإنجيل أو التوراة. وهكذا تكون القصص القرآنية مأخوذة _ في زعمهم _ عن القصص اليهودية والنصرانية. فرجيس بلاشير _ على الرغم من اعتداله في أحكامه _ يتحدث في كتابه ((معضلة محمد))[2] عن مصدر القصص القرآنية ذاكراً بالخصوص أنَّ مما لفت انتباه المستشرقين التشابه الحاصل بين هذه القصص والقصص اليهودية والنصرانية فيقول مثلا: ((إن التأثير النصراني كان واضحاً في السور المكية الأولى؛ إذ كثيرا ما تكشف مقارنة بالنصوص غير الرسمية كإنجيل الطفولة الذي كان سائداً في ذلك العهد عن شبه قوي)) ويعرض في هذا الصدد آراء بعض الباحثين مبيناً رأيه فيما يستنتج من العلاقات المستمرة التي كانت تربط بين مؤسس الإسلام والفقراء النصارى بمكة حسب زعمه.

ويذهب بعض المستشرقين إلى أن كثيراً من الأعلام الواردة في القرآن ذات أصل عبراني، حتى إن أحدهم وهو المستشرق الفرنسي اليهودي أندري شوراكي A.Chouraqui قد أصدر منذ أكثر من عشر سنوات ترجمة لمعاني القرآن انتقدها المستشرقون قبل غيرهم من المسلمين، وقد احتفظ فيها بالأصول العربية لبعض الألفاظ من غير ترجمة؛ إمعاناً منه في بيان أصلها العبراني كما يزعم [3].

كما أنه يعطي كثيراً من الألفاظ القرآنية دلالات غريبة باللغة الفرنسية، وعند البحث العميق يتبين أن الرجل يريد القفز على المعاني المعروفة والمتداولة - والتي اتفق عليها مترجمو معاني القرآن - إلى معان شاذة هي في الأصل إحدى المعاني اللغوية لأصل اللفظة، لكن لا يصلح استعمالها لكي تؤدي وظيفة الترجمة المناسبة للفظة القرآنية.

إن شوراكي يذهب في مقدمة ترجمته لمعاني القرآن التي تقع في ثلاث وعشرين صفحة إلى أن لغة القرآن تكاد تكون أقرب إلى العبرية التوراتية منها إلى العربية المعاصرة [4]، وهو في ذلك يرمي بشكل غريب إلى أن معظم الألفاظ القرآنية لها ما يقابلها في لغته الأم، وبالتالي فإن مصدر القرآن

---

(1) Abraham Geiger: Was hat Muhammad aus dem Judentum aufgenommen Bonn 1833.

(2) R,Blachère: Le problème de Mohomet ,PUF –Paris 1952 P 42.

(3) Le Coran: L'Appel, traduction de André Chouraqui, ed Robert Laffont – Paris 1991.

(4) مقدمة الترجمة ص 18.

الرئيسي هو التوراة، وهذا ما يبالغ في تأكيده في تعليقاته وحواشيه الكثيرة التي يمكن القول بأن معظمها إنما وضع أساساً لبيان أصول الألفاظ القرآنية – حسب زعمه - في التوراة [1].

منهج التأثير أو الأخذ بالنزعة التأثيرية استخدم في الدراسات النظرية كل حسب تخصصه، بيد أن المستشرقين اعتادوا العمل به وجعلوه أحد وأهم المناهج المستخدمة في الدراسات القرآنية، وهو يعني رد كل عناصر منظومة الإسلام وفي مقدمتها القرآن بعد تجزئتها إلى اليهودية أو النصرانية، أو إليهما معا دون أن يلتفت أحد منهم إلى كيفية صيرورة الإسلام ديناً مستقلا ذا منظومة شاملة ومتناسقة العناصر، مصرين على أن الجنس العربي ليس من صفاته التعمق في التفكير، ولا الابتكار.

رابعا: المنهج الافتراضي، أو الافتراضية

إذا كان المستشرقون في منهجهم التشكيكي في الوقائع القطعية يشككون-كما سبق أن رأينا- فيما هو أدنى إلى الصدق، فإنهم في أخذهم بالمنهج الافتراضي يصدقون ما هو أدنى وأقرب إلى الكذب.

ولعل أبرز حقل قرآني مارس فيه القوم هذا المنهج هو ما تعلق بترتيب الآيات والسور في القرآن، إذ نجد معظم المستشرقين قد أبدوا في مسألة ترتيب الآيات على وجه الخصوص موقفاً مخالفاً لما هو مقرر لدى المسلمين من كون ترتيب الآيات أمراً توقيفياً لا خلاف فيه[2] فهم إذن، وانطلاقاً من منهجهم التاريخي الذي يفترض ترتيباً منطقياً يقبله العقل البشري، حاولوا افتراض ترتيبات جديدة يحكمها الهوى المجرد، وهذا الترتيب الجديد الذي قادهم إليه سلوكهم للمنهج التاريخي قد علق عليه المستشرقون أخطر النتائج في حقل القرآنيات، واتخذوه أكبر مدخل للطعن في صحة القرآن، وتضارُب أحكامه وخضوعه إلى الظروف الزمانية والمكانية.

فالمستشرق الانجليزي آرثر جفري يأتي مثلاً بفرضية حول سورة الجن فيقول: ((إن الآيات الخاتمة للسورة تختلف كثيراً في الشكل والأسلوب، وتظهر وكأنها قطعة غريبة وضعها جامعو القرآن أو كتبته)) [3].

ويستخدم المستشرق الفرنسي (أنري ماسيه) مصطلح الافتراض حين ينسب لعثمان بن عفان هدفا سياسيا صبا إليه، وهو يأمر بجمع القرآن الكريم فيقول" :يمكن الافتراض أنه كان لعثمان هدف سياسي بعمله هذا يعادل الهدف الديني، فقد وصل إلى الخلافة بجهد، بعد أن عزز مركزه بإقراره نصا لا يتغير للكتاب المقدس).

إن مما لا شك فيه أن للمستشرقين في كل موضوع من موضوعات القرآن التي يناقشونها ويدرسونها هدفاً وغاية يدور فلكها حول الهدف الأكبر الذي هو إثبات بشرية القرآن بكل الوسائل. وإزاء موضوع ترتيب آي وسور القرآن، يتضح أن هدفهم من افتراض ترتيبات جديدة ومحاولات مبتكرة على بساط البحث والدرس يرمي إلى إظهار التناقض المزعوم في القرآن سواء من حيث الموضوع أو من حيث الأسلوب.

---

(1) لما كان المترجم يتوقع استغراب القارئ أشار في مقدمته (ص 16) إلى بعض النماذج في محاولة منه للإقناع بجدوى ذلك وأهميته، وقد وقف عند الألفاظ: درس–رحم– فاطر– زكاة – صيام – وغيرها.

(2) يعد نولدكه الذي كان مقتنعا أشد الاقتناع بضرورة ترتيب القرآن زمنيا أول من رسم لنفسه منهجا جديدا تأثر به معظم من أتى بعده فأصبح موضوع هذا الترتيب يشغل أذهان المستشرقين جميعا.

(3) Arthur Jeffery: The Koran: Selected Suras translated Heritage, New York 1982 P32.

خامسا: المنهج الإسقاطي

تفسير الوقائع والنصوص بالإسقاط أمر دأب المستشرقون على توظيفه في أبحاثهم القرآنية، ونعني بالمنهج الإسقاطي إسقاط الواقع المعيش على الحوادث والوقائع التاريخية، إنه تصور الذات في الحدث أو الواقعة التاريخية.

وهكذا يتم تفسير تلك الوقائع وفق المشاعر الإنسانية الخاصة والانطباعات التي تتركها بيئة ثقافية معينة، فالمستشرق الباحث عندما يضع في ذهنه صورة معينة يحاول إسقاطها على صور ووقائع معينة يخضعها إلى ما ارتضته مخيلته وانطباعاته.

عند دراسة القرآن الكريم وعلومه , مارس المستشرقون عملية الإسقاط متأثرين بخلفياتهم العقدية وموروثاتهم الفكرية , ومندفعين بدافع نفسي يهدف الى رمي القرآن الكريم بما ثبت في حق كتبهم المقدسة ودياناتهم المحرفة , محاولين بذلك الانتقاص من قدر هذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وقد حاول الباحث تصنيف هذه العلميات الإسقاطية على القرآن الكريم وعلومه من قبل أساتذة الغرب بالنظر إليها من زاويتين:

الأولى : بالنظر الى موضوعاتها .ويمكن تصنيفها الى الموضوعات الاتية:

1-إسقاط المفاهيم الاستشراقية على التعريف بالقرآن الكريم.

2-إسقاط المفاهيم الاستشراقية على تاريخ القرآن الكريم

3-إسقاط المفاهيم الاستشراقية على العقائد القرآنية

4-إسقاط المفاهيم الاستشراقية على الشرائع القرآنية

الثانية : بالنظر الى منطلقاتها المذهبية .ويمكن تصنيفها الى المنطلقات الآتية:

1- المنطلقات الدينية : وتشمل المفاهيم اليهودية والمفاهيم النصرانية .

2- المنطلقات الفكرية : وتشمل المفاهيم المادية والمفاهيم الصوفية.

ومن أمثلة المنهج الإسقاطي لدى المستشرقين ما أورده بلاشير في سياق البحث عن أسباب عدم جمع القرآن في مصحف في عهد النبي ﷺ من أنه عليه الصلاة والسلام وأصحابه كانوا يميلون إلى تَرْك الأمور على ما هي عليه، لأن العرب في جملتهم لا يفكرون إلا في الحاضر ولا يهمهم المستقبل، وهذا الميل يقف وراء عزوف المسلمين عن جمع القرآن في عهده (ﷺ) [1].

ولا شك أن هذا التفسير الإسقاطي الفاسد لا يستند إلى أدنى دليل علمي أو منطق عقلي، فهو منهج يخضع لهوى المستشرق وأحكامه السابقة مما تنتج عنه أحكام تعسفية وجائرة؛ إذ من المعلوم أن الرسول (ﷺ) كان يحث على حفظ القرآن وكتابته خوفاً عليه من الضياع، وقد بلغ الحرص على كتابته وتدوينه في مختلف الوسائل التي كانت متاحة وقتئذ أن نهى أصحابه أول الأمر عن كتابة الحديث حتى لا يختلط بالقرآن، كما أنه عليه السلام كان يستدعي كتبته الذين فاق عددهم الأربعين ويأمرهم بكتابة جميع ما ينْزل عليه من القرآن، ويشير إلى مواضع الآيات من السور، وهو ما يشير إليه زيد بن ثابت (رضي الله عنه) بقوله: ((كنا عند رسول الله (ﷺ) نؤلف القرآن من الرقاع))[2] فكل هذا يدل على أن رسول الله (ﷺ) وصحابته كانوا يفكرون في حفظ القرآن مدوناً ومكتوباً لمن

(1) Blachère: op.cit p 16

(2) الإتقان للسيوطي 164/1.والحديث أخرجه الحاكم في مستدركه 611/2، وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

يأتي بعدهم، غير أن جمعه في مصحف لم يكن ممكناً آنئذ؛ لأنه عليه السلام كان ينْزل عليه القرآن منجماً طوال ثلاث وعشرين سنة، فكان يترقب كل مرة ورود زيادة أو نسخ لبعض الأحكام أو التلاوة.

ومن أمثلة هذا المنهج الإسقاطي أيضاً ما ذهب إليه بعضهم من أن تمايز أسلوب القرآن المكي عن الأسلوب المدني يرجع إلى بيئة قريش المنحطة وبيئة المدينة المتقدمة والمتحضرة، فإذا كانت الآيات المكية قصيرة فلأن معظم أهالي مكة أميون جاهلون، وإذا كانت الآيات المدنية طويلة وواضحة فلأن البيئة المدنية مثقفة واعية ومتأثرة بالنفوذ اليهودي المهيمن عليها.

ومن المستشرقين من قال: ((إن اختلاف الأسلوب بين العهد المكي والعهد المدني يُعدُّ انعكاساً واضحاً للبيئة التي وجد فيها، فالنصوص القرآنية تعكس طبيعة وبيئة وظروف كل مكان وكل زمان . فالأسلوب القرآني يمتاز في مكة بالشدة والعنف؛ لأن أهلها أجلاف بينما يمتاز في المدينة باللين والوضوح والصفح؛ لأن أهلها مستنيرون))[1].

لا شك أن هدف المستشرقين من هذا الكلام الذي يرمي إلى إثبات دعوى تأثر القرآن وأسلوبه بالبيئة التي نزل فيها هو القول بأن القرآن من كلام محمد (ﷺ) لا كلام الله تعالى. ويتجاهل المغالطون من المستشرقين الذين يعلمون جيداً مراحل تطور الدعوة الإسلامية من مكة إلى المدينة أن خطاب أهل المدينة لا يمكن أن يكون مماثلاً لخطاب أهل مكة، فتأسيس الدولة الإسلامية في المدينة في ظل بيئة جديدة قد أصبح يستدعي التفصيل في التشريع وبناء المجتمع الجديد، فلا غرو إذن أن يطنب القرآن بعدما كان يوجز، ويفصل بعدما كان يجمل. أما في مكة فقد كانت الآيات التي تنْزل تشتد في تسفيه أحلام المشركين ومقارعتهم بالحجج وتحديهم. فالأمر كان يتعلق بتأسيس أسس العقيدة الصحيحة وتدمير معالم العقائد الوثنية السائدة.كما أن طبيعة الأسلوب القرآني قد اختلفت من مكة إلى المدينة؛ نظراً لمراعاة حال الدعوة وتدرجها وليس في ذلك أدنى مراعاة لمدى تحضر أو تخلف الأقوام المخاطبين، كما رمى إلى ذلك زمرة المغالطين والمغرضين من المستشرقين.

سادسا: التركيز على المرحلة التأسيسية للحقل القرآني

إن من أبرز ما تميز به الاستشراق المعاصر عن الاستشراق القديم اهتمامه بشكل دقيق ومفصل بالمرحلة التأسيسية للعلوم القرآنية وعلى رأسها علم التفسير، فبعد الاهتمام البالغ بمراحل جمع القرآن وتكوين مصحف إمام، أخذ الاهتمام الاستشراقي يتوجه إلى بحث البدايات الأولى لظهور علم التفسير مع جيلي الصحابة والتابعين، ويبدو الهدف الرئيسي من كل ذلك تحطيم أسس العلوم القرآنية وركائزها المتمثلة في المرويات المتصلة بالصحابة والتابعين؛ قصدَ الخلوص إلى نتيجة مفادها أن التراث التفسيري لم يدون إلا في مرحلة متأخرة عن العصور الأولى. وقد نهج المستشرقون في كل ذلك طرائق عدة تمثلت في التشكيك في الروايات الصحيحة والتقليل من أهمية أعلام علم التفسير ومكانتهم، كابن عباس ومجاهد، ورواد الجمع القرآني، كزيد بن ثابت وأبي بكر وعثمان .

لقد تبين لهؤلاء المستشرقين أن العلوم الإسلامية وعلى رأسها العلوم القرآنية قد استوت معالمها ومرتكزاتها على أساس وبناء صَرح المرحلة التأسيسية في عهد الصحابة والتابعين؛ من أجل ذلك تفتقت أذهان القوم على التفكير في إعادة بحث ودراسة تلك المرحلة التي يرتكز عليها تاريخ القرآن بكل أطواره بصورة تهدف إلى تحطيم أسسها وإثارة مختلف الشبهات حولها.

(1) Henri Lammens; l'Islam, Beyrouth 1943 p 60.

أما فيما يتعلق بجمع القرآن فإن المستشرقين المعاصرين لم يتركوا مرحلة من مراحله الثلاث إلا ونسجوا حولها سياجاً من الافتراءات، فالرسول لم يجمع القرآن في مصحف؛ لأنه لم يكن يفكر إلا في الحاضر، ولأنه أيضاً كان يتوقع قرب قيام الساعة فلا داعي إذاً لجمعه ، وزيد بن ثابت ﵁ لم يكن ذلكم الرجل المؤهل والموثوق بأمانته في مهمة جمع القرآن في عهد أبي بكر﵁ ، ومصاحف الصحابة الخاصة التي انفردوا فيها بقراءات شاذة كانت أكبر دليل على عدم تواتر القرآن وموثوقيته إلى غير ذلك من الشبهات .

أما ما وُجِّه إلى زيد بن ثابت من اتهام فلا أساس له من الصحة، إذ لا يخفى مدى ما بلغه من الثقة والضبط منذ أن كان كاتباً للوحي في عهد رسول الله ﷺ إلى أن توفي عام (45هـ)، وقد شهد كثير من الصحابة بفضله وجلالة قدره.

وعلاوة على ذلك فإن زيداً قد شهد العرضة الأخيرة للقرآن في حياته ، كما أنه كان من أشهر الصحابة إتقاناً لحفظ القرآن ووعياً لحروفه وأداءً لقراءاته. أما مصاحف الصحابة الخاصة فقد كانت مخالفة لسواد المصاحف التي أجمعت عليها الأمة خلال الجمع العثماني، وكان أصحابها واعين لتلك القراءات الشاذة والتفسيرات المدرجة .

المصادر:

1. أبو خليل: شوقي: الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين، دار الفكر المعاصر، بدون تاريخ.
2. أركون: محمد وآخرون: الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، ترجمة هشام صالح، بيروت سنة ١٩٩٤ م.
3. آل ناصر: يوسف عبد الله: مناهج المستشرقين في الدراسات القرآنية،جولد تسيهر أنموذجاً، بدون تاريخ.
4. السيد محمد الشاهد. "الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين" في الاجتهاد. عدد 22، السنة السادسة، شتاء عام 1414هـ/1994م.
5. البنداق: محمد صالح: المستشرقون وترجمة القرآن، ط ١، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، سنة ١٤٠٠ هـ- ١٩٨٠ م.
6. د.محمود زيدان، نظرية المعرفة عند مفكري الإسلام وفلاسفة الغرب المعاصرين، .
7. رضوان- عمرو إبراهيم – آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره (دراسة ونقد)- الرياض- دار طيبة- ط1 – 1413هـ=1992م
8. سعيد- إدوارد - الاستشراق - ترجمة كمال أوديب - بيروت -مؤسسة الأبحاث العربية - ط2- 1984م
9. صلاح بن سالم باعثمان، منهج المستشرقين في دراسة قضايا القرآنية. 2017.
10. وزان - عدنان- الاستشراق والمستشرقون - سلسلة دعوة الحق – مكة- رابطة العالم الاسلامي - 1404هـ.
11. فاطمة سروي، التفسير الاستشراقي للنص القراني ، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، 2020.

- تعريف الاستشراق لغة واصطلاحا والمسشرق:
- نشأة الاسشراق و مراحله.
- دور المبشرين المستشرقين
- ايجابيات الاستشراق
- سمات المنهج الاسشراقي
- أهداف الاستشراق
-